مجلة الجامعة الإسلاميَّة
للغة العربيَّة وآدابها

مجلة عِلميَّة دَوْريَّة مُحكمة

العدد : 17
يوليو - سبتمبر 2025م
الجزء 1

١٣٨١
١٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة عبر المنصّة الإلكترونية

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدي
(رئيس هيئة التحرير)
أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية

د. خليوي بن سامر العياضي
(مدير التحرير)
أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي
أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

أ.د. الزبير بن محمد أيوب
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد بن ظافر الحازمي
أستاذ اللسانيات بالجامعة الإسلامية

د. عبد المجيد بن عثمان اليتيمي
أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. علي بن محمد الحمود
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان
أستاذ اللّغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان – بلجيكا

أ.د. علاء محمد رأفت السيد
أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة – مصر

أ.د. سعيد العوادي
أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض – المغرب

د. الزبير آل الشيخ مبارك
(رئيس قسم النشر)

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الخماش
أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد ـ تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي
أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة الإمارات العربية المتحدة

أ.د. عمر الصديق عبدالله
أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم

د. سليمان بن محمد العيدي
وكيل وزارة الإعلام سابقاً

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

– عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
– مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– مقدّمة.
– صلب البحث.
– خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
– ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
– رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	مُقَدِّمة في النَّحْو من كلام الشيخ وليّ الدين محمد بن أحمد الملَّويّ المنفلوطي (٧١٣-٧٧٤هـ) دراسة وتحقيق **د. محمد بن حبيب الترجمي**	٩
٢)	إصلاحات الشَّلَوْبِين الصرفية في متن الجزولية في كتابه شرح المقدمة الجزولية الكبير **د. ساره عبد الله عبد العزيز الصبيح**	٦٣
٣)	من ركائزِ الفكرِ اللُّغويّ في الخصائصِ لابنِ جني قراءة تحليلية **أ.د. عبد العزيز بن سالم الصَّاعديّ**	١٣٥
٤)	الاستعارات التصوريّة في خطاب المتعافين من مرض السرطان **د. طلال مفلح سالم الحويطي**	٢٠٥

م	البحث	الصفحة
٥)	بواعث التداخل بين وظيفة علم النحو ووظيفة علم المعاني ومعايير التفريق بينهما **د. سعيد بن عثمان الملا**	٢٥٩
٦)	التحليل الحاسوبي أداةً للنقد الأدبي بين التجويد والتبديد **د. محمود محمد علي أحمد الكردي**	٣٢١
٧)	القصيدة العربية المعاصرة بين غواية التشكيل وتحولات الموضوع **د. إبراهيم عمر علي المحائلي**	٣٧٧
٨)	الخصائص الأسلوبية في ديوان الشعر عينك والإبحار قافيتي للشاعرة سعاد أبو شال **د. أمل بنت عيد بن نويفع المطيري**	٤٣٧

من ركائزِ الفكرِ اللُّغويِّ في الخصائصِ لابنِ جني قراءة تحليلية

Analytical Study of the Bases of Linguistic Thought in Ibn Jinni's ***Al-Khasa'is***

أ.د. عبد العزيز بن سالم الصَّاعديّ

الأستاذ بقسم اللغويات بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

البريد الإلكتروني: Abdalazizalsadi@hotmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
11/02/2025		13/04/2025
نشر البحث A Research Publication		
ربيع الأول ١٤٤٧هـ = September 2025		
DOI:10.36046/2356-000-017-003		

المستخلص

موضوع البحث: هو لفتُ نظر الباحثين وحفزهم إلى الجانب الفكري عند ابن جني في الخصائص، واستثارته فيهم بذكر بعض ركائزه عند ابن جني ابن القرن الرابع وهو قرنٌ فكريٌّ بامتياز، وابن مدينتي: بغداد والموصل، فاجتمع الزمانُ والمكانُ وصاحبُ العقلية العبقرية الفذة، كما تنمُّ عن ذلك مصنفاتُه خاصة الخصائص، والذي يرى في العربية عبقريةً وفي الناطقين بها حكمةً وصنعةً ورقّةً مرهفةً وحسًّا عاليًا، وجاء هو بعد أن استتمَّتِ المعاييرُ اللغويةُ ضمن الدراسات اللغوية السابقة له، فكان خليقًا به أن يدلفَ من باب الفكر اللغوي إلى الإبداع والاختراع والتميز لخدمة خصائص العربية وتجليتها بعدما استتمَّ له المشاركة الكاملة والفاعلة في معايير العربية في كافة مستوياتها ضمن مؤلفاته الأخرى، فجاء كتاب الخصائص قمةَ الفكر والإبداع والعبقرية والفلسفة اللغوية.

ومن أهدافه: بيانُ أبرز الركائز والوسائط الفكرية التي ارتكز عليها ابن جني في تجليته للفكر اللغوي عند العرب الناطقين بها، وعند السَّلف الذين بنوا معاييرها، واتَّخذ تلك الركائز آلية لتفكيك ذلك الفكر وتفريعه والاستدلال له وتعليله ورصده وتسجيله، فالتقت الصِّناعتان: صناعةُ العرب في لغتهم وحكمتهم فيها، والصَّنعةُ اللغويةُ بمفهومها الشَّامل كما يراها ابنُ جني في كلّ مستويات اللغة مما يوشِّجُها ويُقرّبُ دراستَها، ومنهجُها من طبيعتها وممارستها في الأفواه والعقول والأقلام، فاستقرَّ الفكرُ لديه في صورتيه: النظرية والتطبيقية العملية في كتاب الخصائص.

وأمَّا منهجه: فهو منهجٌ وصفيٌّ تحليليٌّ تعليليٌّ؛ مسايرًا لمنهج ابن جني في كشفه خصائص العربية في كتابه الخصائص، يعتمدُ التحليلَ قراءةً أساسيّةً في تجلية فكر ابن جني اللغوي في الخصائص من خلال نصوصه.

ومن نتائج البحث: أنَّ كتابَ الخصائص كتاب في صميم الفكر اللغوي ومنهجيته، بعد أن فُرِغَ من بناء المعايير العربية، واستتمَّتْ صناعاتُها، فابنُ جني استفرغ في هذا الكتاب جهدَه العقليَّ والعصبيَّ والوجدانيَّ العاطفيَّ؛ ليبرزَ علمًا قام على ركائز، منها: شغفُه بالعربية واعتقادُه فيها العصمة وفي أهلها، وهكذا كان ينظرُ للمعايير التي أنتجَتْها تلك الصناعاتُ اللغويةُ على كافة مستوياتها، وتوظيفها لخدمة الفكر اللغوي، كما أنه كان حفيًّا بغرس الفكر اللغوي سلوكًا لدى الباحثين يريهم كيف يتحقق؟ وكيف ينمو؟ وما وسائطه ووسائله؟ فيحفزهم عليها، وما هي موانعه؟ فيحذّرهم منها؛ نظرًا لاستهدافه تأسيس الفكر اللغوي ضمن دراسات اللغة.

ومن توصياته:

- بعثُ الفكر اللغوي خادمًا للعربية وللصناعة اللغوية الشاملة؛ مما يعمّقُ تلك الصناعةَ في الدرس والدارسين اللغويين.
- تثويرُ المصادر الفكرية اللغوية، ومنها: الخصائص دراسةً وتدريسًا ومدارسةً وتحليلاً وتجليةً؛ حتى تظهرَ مقاصد المفكرين؛ خدمةً للغة، وتظهيرًا لخصائصها البنيوية والمنهجية، وبيان ما كان عليه العربُ في تعاطيهم مع لغتهم.
- التَّوشيج بين المستويات اللغوية، وتقديمُ اللُّغة للدارسين كما هي طبيعتُها في ممارستها وبنيويتها، والخصائصُ نموذجٌ حيٌّ على ذلك التَّكامل الذي هو طريق تجلية الفكر اللغوي في بناء اللغة الكلي، وتوظيف الجزئي لخدمته.

الكلمات المفتاحية: ابن جني. الفكر اللغوي. ركائز الفكر. الخصائص.

Abstract

Research Subject: It is to draw the attention of researchers and motivate them to the intellectual aspect of Ibn Jinni in his work "al-Khaṣāʾiṣ", by highlighting some of its foundations as presented by Ibn Jinnī, a scholar of the 4th century AH—an era distinguished for its intellectual vigor, which is an intellectual century par excellence.

Among its objectives: to highlight the most significant intellectual foundations and mediating principles upon which Ibn Jinnī relied in elucidating the linguistic thought of native Arab speakers, as well as of the early scholars who established its standards.

As for its **methodology**, it is a descriptive, analytical, and causal approach, in line with Ibn Jinnī's own method in uncovering the characteristics of the Arabic language in his al-Khaṣāʾiṣ. It relies on analysis as a fundamental mode of reading, in order to elucidate Ibn Jinnī's linguistic thought in al-Khaṣāʾiṣ through his own texts

Findings: the book al-Khaṣāʾiṣ is a work situated at the very heart of linguistic thought and methodology, composed after the Arabic standards had been firmly established and its sciences fully developed. In this book, Ibn Jinnī exerted his utmost intellectual, emotional, and even affective effort to present a science built upon firm foundations. Among these were his passion for the Arabic language, his belief in its infallibility and in the integrity of its speakers. Thus did he view the standards produced by these linguistic sciences at all their levels, employing them in the service of linguistic thought. Furthermore, he was keen to instill linguistic thought as a mode of conduct among researchers—showing them how it is realized, how it develops, and what it means and instruments are—thereby encouraging them to pursue it, while also warning them of its obstacles. His aim was to establish linguistic thought as an integral component of language studies.

Recommendations:

- Reviving linguistic thought as a servant to Arabic and to the comprehensive linguistic discipline; a role that deepens this discipline both in linguistic study and among its scholars.

- Activating and stimulating linguistic intellectual sources—among them Al-Khasa'is—through study, teaching, collaborative discussion, analysis, and elucidation; so that the aims of the thinkers may be revealed, in service of the language, highlighting its structural and methodological features, and clarifying how the Arabs engaged with their language.
- The interweaving of linguistic levels, and presenting the language to learners as it truly is in its practice and structural nature. Al-Khasa'is serves as a living model of this integration, which constitutes the path to elucidating linguistic thought in the construction of the language as a whole, and in employing the particular to serve the universal.

Keywords: Ibn Jinni – Linguistic Thought – Foundations of Thought – Al-Khasa'is.

الْمُقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أمَّا بعدُ:

فهذا بحثٌ في مرتكزات الفكر اللغوي من خلال الخصائص لابن جني، التي وظَّفها آلياتٍ ووسائطَ لرصد وتسجيل وتعليل ذلك الفكر اللغوي، يتلمَّسُ ركائز ذلك الخطِّ الفكريّ الرفيعِ من الفكر اللغوي الشامخ الذي تغيَّاه ابن جني؛ ليشيعَه بين اللغويين؛ لعلّه ينالُ اهتمامَهم منذُ أن أيقنَ بتحاشي العلماء قبلَه من علماء البلدين "**الخوضَ في أدنى أوشاله وخلجه، فضلاً عن اقتحام غماره ولجه**"[(١)]، وذلك ما علَّله ابن جني من تعريد الفريقين: البصرة والكوفة عنه؛ لصعوبته وحَزَنه وجِدَّته وجِدِّيته وما ذاك إلا "**لامتناع جانبه، وانتشار شَعاعه، وبادي تهاجر قوانينه وأوضاعه**"[(٢)]، وذاك رغم أهميته وشدة الحاجة إليه كما قال صاحبه: "**واعتقادي فيه أنَّه من أشرف ما صُنِّف في علم العرب**"[(٣)]، وما شكا منه ابنُ جني من قلة الدّراسات فيه قبله كان ذلك واقعًا مؤلِمًا في عصره ومجايليه؛ حيث لم يذكرْ سوى دراستينِ خاطفتينِ موجزتينِ زهَّد فيهما وفي نتائجهما مقابل ما بعجه هو من زخمٍ معرفيٍّ فكريٍّ في كتابه الخصائص.

وما كان قبل ابن جني وفي عصره سار عليه الواقعُ اللُّغويُّ بعده، فلم

(١) ابن جني، "الخصائص"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ٢/١.

(٢) نفسه: ٢/١.

(٣) نفسه: ١/١.

يُتابَعْ جهدُ ابن جني في هذا الباب، ولم يُفرَّعْ عملُه في الخصائص، ولم يُشرحِ الكتابُ، أو تُفتَّق أكمامُه، وظلَّ هذا التَّحاشي من الباحثين لهذا النَّمط من التأليف الفكري اللغوي –رغم وصف ابن جني لشدة الحاجة إليه، وعظم أثره في الدرس اللغوي وتنمية للدارسين، وسنِّه طريقتَه ومنهجَه –سائدًا إلى وقتنا الحاضر، وجولةٌ في خطّ التأليف في هذا المجال تعطي الباحثَ يقينًا بذلك؛ إذ لا يظفرُ الباحث إلا بإشاراتٍ خاطفةٍ تحومُ حول الحمى، ولا توشك أن ترتع فيه، بل تتحاماه وتتجنبه تمامًا كما وصفها ابن جني في زمانه.

ولعلَّ هذا البحثَ محاولةٌ للفت الاهتمام بهذا الفكر في كتاب الخصائص الذي تُوقِدُه حُرقةُ ابن جني تجاه هذا التَّجاهل، وشدة ما حرَّر فيه وثابته مجليًّا علمًا يصفُه بأنه **"من أشرف ما صُنِّف في علم العرب، وأذهبه في طريق القياس والنظر، وأعوده عليه بالحيطة والصون، وآخذه له من حصة التوقير والأون، وأجمعه للأدلة على ما أُودِعَته هذه اللغةُ الشريفةُ من خصائص الحكمة، ونِيطت به من علائق الإتقان والصنعة"**(١).

ولذا اعتمد ابنُ جني أصولاً فكريةً وركائزَ منهجيةً كانت عمادَه ومرتكزَه في إقامة دعائم الفكر: من عبقرية اللغة، وشدة إحكام صناعتها عند أهلها الناطقين بها، وشدة التفاعل بين اللسان وأهله في التواتر على حكمة اللغة ودقة صناعتها كما توصل اللغويون إلى ذلك فيما أنتجوه من معايير.

وكان من أسئلة البحث:

١– ما أبرز الركائز التي أقام عليها ابن جني البناء الفكري في كتابه

(١) ابن جني، "الخصائص"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م)، ١/١.

الخصائص؟

٢- ما دور الصفات والسمات الشخصية للمفكر اللغوي؟ وابن جني نموذجًا على ذلك.

٣- ما الظروف والمعطيات التي هيَّأت ابن جني لإنتاج هذا الفكر اللغوي العميق في الخصائص؟

٤- ما طبيعة وميزة الخصائص بين بقية كتب ابن جني؟ (الطبيعة الفكرية للكتاب كما أظهرها ابن جني في مقدمته).

وجاءت محاور البحث طبقًا لهذه التَّساؤلات مكوّنًا من مقدّمةٍ، ومدخلٍ إطاريٍّ، وثلاثة مباحث، وخاتمةٍ، وفهرس المصادر والمراجع.

واشتملَتِ **المقدّمةُ والمستخلص قبلها** على موضوع البحث، وهدفه، وتساؤلاته، ومحاوره، ومنهجه، والدّراسات السابقة له.

وأمَّا المدخلُ: فهو عبارة عن الصفات الْمُهَيِّئَة لظهور فكر ابن جني من البيئة: الزمانية والمكانية، والظرف التاريخي، وعقلية ابن جني وسمته الشخصي.

وأمَّا المباحثُ الثلاثةُ فعلى النحو الآتي:

المبحث الأول: الفكرُ اللغوي في مقدّمة الخصائص (إطاري، محتوى).

والمبحث الثاني: مرتكزات ابن جني في تجلية الفكر اللغوي في الخصائص (العرب، والعربية، وأهل الصَّنعة وأرباب الصناعة، ومعاييرهم والصِّناعة اللغوية).

والمبحث الثالث: سمات الشَّخصية الفكرية في الخصائص، وفيه بيان سمت ابن جني وصفاته ومقولاته بصفته أنموذجًا للمفكّر اللغوي، وهي نوعان:

أ- الصّفات الداعمة للفكر ونموه.

ب- ب- الصّفات المانعة من الفكر وتحصيله.

والخاتمة: وفيها نتائج البحث وتوصياته.

ثم فهرس المصادر والمراجع.

وأما المنهج المتبع في هذا البحث: فهو المنهج الوصفي، مع إشرابه التعليل والتحليل كلما تطلب الأمر ذلك، وهو ذات منهج ابن جني في تحليته الفكر في الخصائص.

وأما الدراسات السابقة: فقد توقع ابن جني أنَّ الدراسات السابقة له ستظل نادرةً وقليلةً وقاصرةً، ولذا نقدها نقدًا مُرًّا ومريرًا، وهذا ما عليه الواقعُ بعد ابن جني، وإلى اليوم؛ فكلُّ مناحي الخصائص صوتًا وصرفًا ونحوًا ودلالةً قد دُرِسَت وبُحِثَت إلا الجانبَ الفكريَّ فيه؛ فإنه لم يُجَلَّ ويبرزْ، وسيظلُّ عصيًّا على الكثير من الباحثين؛ لصعوبته كما توقع ابنُ جني، رغم قيمته العالية عند ابن جني؛ إذ هو غاية الكتاب وهدفه.

إنَّ هناك جوانبَ كثيرةً في كتاب الخصائص قد كُتِب حولها، ولكنَّ مسألةَ الكتابة عن الفكر اللغوي عزَّ أن تجدَ فيها شيئًا محدَّدًا وعميقًا، ويبرز هنا شكوى ابن جني من تحامي الفريقين إليه؛ وتعليله ذلك بصعوبته وتصريحه ببعض الجهود فيها ووصفها، وبيان أنَّ صعوبةَ النظر فيه حاجزٌ يمنع دونه وعنه، رغم أنه هو حليةُ اللغة كما تتحلَّى الغانيةُ بزينتها، وأنَّه مكنونٌ يحتاجُ إلى غوَّاص يوقنُ بقيمته، ثم يبحث عنه ليجليه.

نَعَم فرغم كثرة الدّراسات حول ابن جني، وحول الخصائص، إلا أنَّ تجليتَها جانبَ الفكر اللغوي في الكتاب لازالَتْ كما كان العهدُ بها عند ابن جني؛ نظرًا لصعوبة هذا الأمر، قال ابن جني: "وإنما أزيدُ في إيضاح هذه الفصول من هذا الكتاب؛ لأنه موضعٌ الغرضُ فيه: تقريرُ الأصول، وإحكامُ معاقدها، والتَّنبيهُ على **شرف هذه اللغة، وسداد مصادرها ومواردها،** وبه

وبأمثاله تخرجُ أضغانها، وتبعج أحضانها، ولا سيما هذا السَّمت الذي نحن عليه ومرزون إليه؛ فاعرفْه؛ **فإنَّ أحدًا لم يتكلَّفِ الكلامَ على علّة إهمال ما أُهمِل واستعمال ما استُعمِل**"(١).

وهذا مسرد لبعض ما وقفْتُ عليه من دراسات تمسُّ الفكر اللغوي ولو من بعيد، أمَّا الفكر اللغوي أصالةً عند ابن جني فإنَّه لا يزال عَصِيًّا لم يُمْسَسْ، وبِكْرًا لم تُطلَبْ:

التفكير العلمي في النحو العربي لحسن خميس الملخ، ونظرية التعليل في النحو العربي له أيضًا، وأصول التفكير النحوي لعلي أبو المكارم، وتقويم الفكر النحوي له أيضًا، وقواعد التوجيه في النحو العربي لعبدالله الخولي، والنحو العربي والدرس الحديث لعبده الراجحي، والأصول لتمام حسان، وتاريخ الفلسفة في الإسلام للمستشرق ت.ج. دي بور، ومناهج علمائنا في بناء المعرفة لمحمد محمد أبو موسى، والفكر اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث لرضوان عبدالله، والفكر اللغوي عند المتكلمين عند أبي زكريا الأنصاري لوليد جبار إسماعيل، والفكر اللغوي عند العرب القدماء لعاطف فضل، والفكر اللغوي عند الشافعي وأثره في استنباط الأحكام الشرعية لمحمد الصقير، والفكر اللغوي عند ابن جني في فوائت الكتاب لسيبويه مظهرًا ومنهجًا لعبدالواحد محمد الحربي، والمنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة لعز الدين مجذوب، وفي التحليل اللغوي لخليل عمايرة، والعربية والفكر النحوي دراسة في تكامل العناصر وشمول النظرية لعبدالرحمن محمود، والتفكير اللساني

(١) ابن جني، "الخصائص"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ٧٧/١.

في الحضارة العربية لعبدالسلام المسدي، ومباحث تأسيسية في اللسانيات له أيضًا، ونظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث لنهاد الموسى، ودراسات الدكتور حلمي خليل.

وعمومًا فقد كان كتاب الخصائص ونصوص ابن جني فيه هو المصدر الأبرز الذي اعتمد عليه البحث، وأكثر الرجوع إليه، ودار في فلكه؛ لأن البحث منه بدأ وإليه ينتهي، ومنه يستقي بعض ركائز الفكر التي هي عنوان هذا البحث، لاسيما ومنهج البحث قائم على تحليل بعض نصوص الخصائص، ولهذا فلا غرابة أن يُسمع صداه في غالب صفحات البحث.

الْمَدخل

لم يُكتَبْ في تراث العربية كتابٌ يشبهُ كتابَ الخصائص في مضمونه الفكري اللغوي، ولا قريبًا منه، لا قبل ابن جني ولا بعده، فقد ظهر ابن جني في مؤلفاته اللُّغوية المختلفة مؤلفًا بارعًا؛ وذلك في حسن التأتي منه لأنماط المعرفة اللغوية، كلُّ نمطٍ بحسبه: ففي (اللُّمَع) ظهر ابن جني نحويًّا بارعًا، وبدا في (المنصف) صرفيًّا بحتًّا، وفي (سر صناعة الإعراب) صوتيًّا دقيقًا، وفي (الفَسْر الصَّغير والكبير في شرح ديوان المتنبي) شارحًا للشعر، ومفصِّلاً للأساليب الأدبية، وناقدًا متميزًا، ففي هذه الكتب وغيرها أظهر ابن جني براعته الفائقة في مستوى جزيئات اللغة(١).

وأمَّا في (الخصائص) فقد اختلف طرحُه عن بقية الكتب الأُخرى؛ فهو أمامَ مضمونٍ جديدٍ، وأمامَ معرفةٍ جديدةٍ، وأمامَ شيءٍ يتناوله تناولاً مختلفًا، رغم أنَّه ليس علمًا جديدًا بأصولٍ جديدةٍ، بل هو قائمٌ على العلم اللغوي القديم، ولكنَّه يختلف في طريقة العرض، وفي طريقة التناول، وفي طريقة الإفهام، وفي طريقة الصياغة، وفي طريقة تثبيت المعرفة، وفي الغاية والهدف، ففي (الخصائص) عرضٌ لركائز الفكر اللغوي ومنطلقاته من خلال إبراز خصائص العربية، وإظهار عبقريتها، وعبقرية أهلها في التعاطي والتفاعل بها ومعها، وكل ذلك بتوثيق وتوصيف وتدليل وتعليل لا مزيد عليه.

فكتاب (الخصائص) كتابُ فكرٍ لغويٍّ من الطِّراز الأول، واشتمل على الفكر اللُّغوي بقضِّه وقضيضه، وهو كتابٌ في خصائص العربية، ولخواصَّ مَنْ يدرسُها، فهو كتاب النُّخبة، وخاصة الخاصة؛ فقد هَيْكَلَ فيه الفكرَ اللُّغويَّ،

(١) ينظر: مقدّمات هذه الكتب.

ووضع له محجَّةً وطريقًا، ونهجًا محكمًا، فكلُّه فكرٌ وتجديدٌ لعرض المادة اللغوية وهيكلتها وإعادة صياغتها فكريًّا، كما فعل الشافعي -رَحِمَهُ اللهُ- حين هَيْكَلَ أصول الفقه ولمَّ أشتاتها.

ومع المزايا الفكرية والمنهجية الجمّة لكتاب (الخصائص) إلا أنَّه لم ينلْ حظَّه من العناية والاهتمام من دارسي العربية كما ينبغي له؛ لعوامل عدّة، وأسباب مختلفة، وكان ابنُ جني عارفًا بها، ولعلَّ مرجعها ما في معالجة الفكر اللغوي من صعوبةٍ؛ لأنه شيءٌ من الاختراع؛ وفي صياغته يَكِلُكَ ابن جني إلى عقلك ويقول: هذا موجودٌ في اللغة، وهذه أصولُه ومرتكزاتُه، وفكِّرْ فيه، وتأمَّلْه، وأضفْ إليه.

فكتاب (الخصائص) يعدُّ من أبرز الكتب التي تجلَّت فيها الجوانبُ الفكريةُ جُمْلَةً، ومن أبرز الكتب التي تجلَّتْ فيها الصفةُ الصناعيةُ الفكريةُ في عنونتها، وفي مقدماتها، وفي أبوابها، فلو بحثْتَ في مفردات اللغة لتضع كلمةً تدلُّ على مضمون كتاب (الخصائص) الكتابُ الضخمُ ذو الثلاثة الأجزاء، فلن تجد كلمةً ألصق وأدقّ من مفردة (الخصائص)، ولا أوفق ولا أكثر إيحاءً منها، فابن جني بارعٌ في الإيحاء في العنونة، ويكفي أن تأخذ دليلاً على ذلك (**باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني**)[(١)]، و(**باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني**)[(٢)]، و(**باب في شجاعة العربية**)[(٣)]، وغيرها من الأبواب، تجد

(١) ابن جني، "الخصائص"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ١٤٥/٢.

(٢) نفسه: ١٥٢/٢.

(٣) نفسه: ٣٦٠/٢.

عنده براعةً خاصةً وموهبةً معينةً، ففي استطاعته أن يقطفَ في عنوانٍ جليٍّ أو في كلمةٍ دالةٍ مختصرةٍ ذلك الجانبَ الفكريَّ اللغويَّ، وهذه من **أبرز صفات العنوان الناجح**: أن يكون مختصرًا جدًّا، فإذا كان من الممكن أن يكونَ في كلمةٍ كان أولى من أن يكونَ في كلمتين، وهذا ما فعله ابن جني في (الخصائص)، فالعنوان قد توافرت فيه عناصرُ العنونة الفكرية كاملة، وهذا يشعرنا بأنَّ العنوانَ نفسَه فنٌّ أو فكرٌ، ويمكنك أن تستقريَ كثيرًا من الفكر في الكتب من خلال عناوينها.

وإذا أردتَّ أن تستعرض كتاب (الخصائص)، وأردتَّ أن تبحثَ عن مدلول كلمة (الخصائص) في كل عناوين الأبواب، وأردتَّ أن تصنعَ بحثًا لِتَرُدَّ كُلَّ عنوانٍ من عناوين أبواب الخصائص إلى عنوان الكتاب (الخصائص)، وتربطَ بينهما ربطًا موضوعيًّا وعضويًّا؛ لاستطعْتَ ذلك بكل سهولةٍ، فكلُّ عنوانٍ لأبواب الخصائص يدلُّ على الخصائص، وكلُّ عناوينه الجزئية منبثقةٌ من العنوان الأكبر في هذا الجانب، ففي الخصائص يتجلَّى الربط الموضوعي والعضوي في أجلى صوره، يدركُ ذلك مَن فَقِهَ كتابَ الخصائص وتشرَّبَه.

وأما غرضه من تأليف كتاب (الخصائص): فمدوّنٌ في مقدمته وفي ثنايا كتابه؛ ومنه قوله: "**إنَّ هذا الكتاب ليس مبنيًا على حديث وُجُوه الإعراب، وإنما هو مقامُ القول على أوائل أصول هذا الكلام، وكيف بُدِئَ؟ وإلام نُحي؟**"(١).

فهو لا يريد التعرُّض في الخصائص لمعايير النحو والصرف واللغة ووجوه

(١) ابن جني، "الخصائص"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ٦٨/١.

الإعراب بذاتها؛ فتلك قد فُرِغ منها وشارك هو فيها في كتبه الأخرى، وإنما يحاول أن يَعبُرَ من خلالها إلى أعماق المعايير وإلى ما وراء القاعدة من وضع أسس نظريةٍ لعلم النَّحو العربي ومجمل الصناعة اللغوية في مختلف مستوياتها، والسَّببُ في ذلك: أنَّ المعاييرَ والقواعدَ والمقاييسَ قد فُرِغَ منها ودُوِّنَتْ في الكتب السابقة له وعند من سبقه من المدرستين: البصرية والكوفية، وفي هذا الموضع نجد أنَّ الجرجاني في دلائل الإعجاز يشبه ابن جني؛ نظرًا لاتحادهما في الغرض، فمن حصافة ابن جني: أنه استخدمَ هذه الجزئيات التي أَلَّف فيها، وجعلَها أمثلةً وشواهدَ داعمةً لأصوله وأفكاره تمامًا كما فعل الجرجاني في بناء نظرية النظم وتوظيف التركيب النحوي في العربية لإثباتها.

فابن جني ألَّف (الخصائص) لأغراضٍ تختلف عن أغراض السَّابقين له من البصريين والكوفيين، فقال: "**ليس غرضُنا فيه الرَّفعَ والنَّصبَ والجرَّ والجزمَ؛ لأنَّ هذا أمرٌ قد فُرِغَ في أكثر الكتب المصنّفة فيه منه، وإنما هذا الكتابُ مبنيٌّ على: إثارةُ معادن المعاني، وتقريرُ حال الأوضاع والمبادي، وكيف سَرَتْ أحكامُها في الأحناء والحواشي؟**"[(١)]، والجرجاني نص على ذلك في الدلائل.

وواضحٌ من هذه النصوص أنَّ ابن جني يريد أن ينتج معرفةً فكريةً لغويةً جديدةً مختلفةً عما سبق من الصناعات اللغوية القائمة قبلها، فقد أدرك ابن جني أنَّ المعرفةَ اللغويةَ قد تمَّت وأُسِّسَتْ على أصول ثابتة؛ لأنه قد أُنتُهِي وفُرِغَ من البناء الأساسي في معايير اللغة، وبقي الذهنُ صافيًا من انشغالات البناء والتأسيس، والوقت أمام ابن جني متاحًا، ولديه جانبٌ فائض من القوة في

(١) نفسه: ٣٣/١.

معالجة المعرفة اللغوية، ولديه جانبٌ من الترف العلمي اللغوي، والحاجةُ ماسةً في القرن الرَّابع إلى إبراز الجانب الفكري للمعرفة اللغوية بعد أن قطعت شوطًا مداه ثلاثة قرون في قواعدها ومعاييرها، وكلُّ هذه الدواعي كانت حاضرة عند ابن جني وهو يصنِّفُ الخصائص.

فما تبقى لابن جني بعد المعارف السابقة هو جانب التأمَّل في هذه المعرفة، وتعليلها وتثبيتها والتدليل لها، وبيان مواطن الحسن والجمال في البناء اللُّغوي الذي أسسه الخليل وسيبويه وشيوخهما، والعناية بالتعليل بمفهومه الواسع لكل ما يتعلق باللغة ودرسها، والتدليل لهذه المعرفة وتثبيتها وتشقيقها وتفريعها، ومحاولة إعادة صياغتها صياغةً فكريةً بمنهجيةٍ جديدةٍ، فنمط العملِ الفكريّ لابن جني هنا هو تتميم المعرفة اللُّغوية السَّابقة، وهذا لاشكَّ –أعني التَّكميل والتَّعليل– أنه من الأصول الكبرى للفكر اللغوي، ولهذا قال: "**لأنَّه موضعٌ، الغرضُ فيه: تقريرُ الأصول، وإحكام معاقدها، والتَّنبيه على شرف هذه اللُّغة وسداد مصادرها ومواردها، وبه وبأمثاله تخرجُ أضغانُها، وتبعجُ أحضانُها**"(١).

ومما يُحمَدُ لابن جني أنَّه استطاع وهو ابنُ القرن الرابع وابن البيئة البغدادية أن يكون متّصلاً بالبيئات السَّابقة له زمنًا: البصرية والكوفية، فقد أسس علمًا مبتكرًا على المعرفة اللغوية السابقة خاصة كتاب سيبويه، فظهر في (الخصائص) محترِمًا للسلف السابق، ومقدّرًا للمعرفة التي أنتجوها، وناسبًا الفضلَ فيها إلى أهلها، ولكنَّه مع هذا واكبَ عصرَه، بل سبق عصره بمراحل،

(١) ابن جني، "الخصائص"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م)، ٧٨/١.

فجمع بين التَّراكم الزمنيّ القديم والانفتاح الذّهني الجديد على علومِ ومتطلباتِ عصره في إدراكٍ فكريٍّ مذهلٍ؛ لأنَّ من **أبرز النّقاط التي ينبغي أن يكون المفكّرُ متصلاً بها:** هي الأخذُ من عصره، والرُّجوع إلى عصور سابقة، والقفز إلى رُؤَى مستقبلية، والمزاوجةُ بين كل ذلك إلى حدٍّ كبيرٍ، كما فعل ابن جني، وفُتِحَ له –وهو أبو الفتح– ما كان مُغلَقًا عن غيره ممن لم يأخذْ بالأسباب التي تتّبَعَها ابنُ جني بكل قوّةٍ وإخلاصٍ.

وعمل ابن جني في (الخصائص) –وإن كان معدودًا في بعض جوانبه في التَّرف العلميّ– فائدتُه عظيمةٌ في تثبيت أصول المعرفة اللُّغوية السَّابقة بتعليلها والتدليل عليها وتفهُّمها، وهذا الجانب لم يكُنْ متاحًا للبصريين والكوفيين؛ لأنهم مشغولون بالبناء والتَّأسيس للقواعد والمعايير، وهنا تبرزُ تراتبيةُ المراحل، ومراعاة هذه التراتبية محسوبٌ من الفكر، وهو أنَّ هناك تراتبيةً في المراحل، كلُّ مرحلةٍ زمنيةٍ تحتاجُ نمطًا معيّنًا من التَّأليف يواكبُ حاجةَ المجتمع العلمية في إتمام ذلك العمل، وهذه هي خطوات الفكر السديد والمنهج الرشيد.

ومن عرف ابن جني وسماته الشخصية من خلال سيرته المدونة في كتب السير والتراجم، أدرك أنَّ كتابَه (الخصائص) هو أصدقُ صورةٍ لهذه الشَّخصية الفريدة في تاريخنا اللغوي العربي، ومعبّرٌ عن سعة ثقافته اللُّغوية، ومدى سيطرته على علمه الواسع(١)، مما أعانه على إدراك مستوى من الرّأي المجمل والفكر اللُّغوي وتحصيل كليات اللغة وأصولها، مع جودة عالية ومتانة مدهشة في توظيف الجزئيات ضمن بناء كليات الفكر.

(١) عبدالغفار هلال، "**عبقري اللغويين**"، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م)، ١/٨٨-٨٩.

كما أنَّ هذا الكتابَ مرآةٌ عاكسةٌ للبيئة: مكانًا (بغداد)، وزمانًا (القرن الرابع)، وللبيئة دورُها في إنتاج الفكر وتهيُّؤ الزَّمان والمكان له، وهذا يذكرنا بمقولة ابن خلدون: "**الإنسانُ ابنُ بيئته**"(١)، فبيئةُ القرن الرَّابع بيئةٌ فكريةٌ أنتجت مُصَنَّفًا فكريًّا (الخصائص)، وأنتجت شخصيةً فكريةً (ابن جني)، مع غيرهما من الكتب والمؤلفين في جوانب الفكر اللغوي.

فمدينة بغداد في القرن الرابع الذي عاشه ابن جني من البيئات الزمنية والمكانية المتميّزة فكريًّا، فهو برُمَّته قرنٌ فكريٌّ بامتياز، وما شخصيةُ ابن جني إلا نموذجٌ واحدٌ من عشرات النَّماذج ممن أنتجَتْهُم بيئةُ القرن الرابع ومدينةُ بغداد الرَّشيد العباسيّ، الذي شهدَ انفتاحًا غير مسبوق على المعرفة بكافة أشكالها.

وأمَّا المنهجُ الذي اتّبعه ابنُ جني في كتابه الخصائص: فقد صرَّح به في مقدمته قائلاً: "**وذلك أنَّا لم نَرَ أحدًا من علماء البلدينِ تعرَّضَ لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه**"(٢)، فهذه محاولة من ابن جني لاستثمار العلوم الأُخرى في الميدان اللغوي؛ لاستخراج أصول اللغة العربية وخصائصها، ولكن بذكاءٍ ومرونةٍ وحصافةٍ وحذرٍ شديدٍ، فقد استفاد ابن جني من علمي أصول الفقه والكلام، فتولَّد عن ذلك التجسير حركةٌ دائريةٌ ثلاثيةٌ بين ثلاثة علوم: اللغة وأصول الفقه وعلم الكلام، وقد حدَّثنا تاريخ العلم أن هذه العلوم الثلاثة بينها تداخل وترافد؛ فكلها علوم آلة ووسيلة، فإنَّ الأصوليين أخذوا اللُّغةَ من أهلها، واستثمروها في فهم النّصّ الشّرعيّ، ثم أعاد

(١) ابن خلدون، "**المقدمة**"، (القاهرة: نهضة مصر، ط٤، أكتوبر ٢٠٠٦م)، ٤٧٧/٢.

(٢) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ١/١-٣.

(ابن جني) في (الخصائص) نتاجَ ما توصل إليه الأصوليون إلى اللَّغة، وحاول قطفَ ثمار الأصوليين لتطبيقها على اللَّغة، "وقد شايع علماءُ اللغة الأصوليين وجالوا في حلبتهم، ويتضح ذلك من أن (ابن جني) وهو العالم اللغوي الشهير كان أول من بالغ في تقسيمات الأصوليين ومصطلحاتهم مطبِّقًا إياها على الدرس اللغوي في كتابه (الخصائص)"(١).

ويمكن لنا في هذا التجسير أن تُعقَدَ موازنةٌ بين الشافعي وابن جني في تناول كلٍّ منهما للغة والأصول، فـ(ابن جني) في كتابه (الخصائص) حاولَ أن يطبّقَ معاييرَ أُصول الفقه على اللُّغة لتكون لها معايير، ولكن ليس بدقة الفقه؛ لأنَّ اللُّغةَ تتسمُّ بالسَّعة والهُلاميّة؛ فاللُّغة ليست بعصمة النّص الشّرعي (القرآن والسنة) في قطعيته؛ فهو قطعيُّ الثُّبوت وقطعيُّ الدِّلالة، ولهذا لم يسقِ ابنُ جني اللغةَ مساقَ جزم الأصوليين، وإنما ساقها مساقَ سعة اللغة، وذلك تأتِّيًا لطبيعة الميدان، وهذا من الفكر والرُّشد العلميّ، ولا غرابة في ذلك؛ فابنُ جنيّ مفكِّرٌ لغويٌّ رشيدٌ حصيفٌ؛ حيث حاول أن يقطفَ الثمرةَ النهائيةَ لعمل الأصوليين، ويأتي بها إلى اللغة كتغذيةٍ راجعةٍ، وأن يعيدَها إلى اللُّغة، ولكنه وقع في إشكالٍ كبيرٍ، وهو أن بحبوحةَ واتساعَ اللغة ليست كالنّص الشرعي، ولهذا كان ذكيًّا في التَّناول، فلم يَقُلْ على سبيل الجزم: (يجبُ كذا وكذا، وينبغي كذا وكذا)، وإنما أتى بما يمكن تطبيقُه على اللُّغة ولو جزئيًّا، ودعاك إلى أن تأخذه منه وتضيف عليه ما أمكن ذلك، ولا تغلقِ البابَ، بل اتركْه مواربًا، وكلما انفتح لك شيءٌ فأضفْه إلى سابقه.

(١) السيد أحمد عبدالغفار، "**التصوُّر اللغوي عند علماء أصول الفقه**"، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م)، ٣٩.

ولا يفوتنا هنا أن ننبّهَ على أنَّ التَّجسيرَ والتَّهجينَ بين العلوم والمناهج منهجٌ فكريٌّ، وقد عبَّ منه ابن جني حتى الثُّمالة، ولعلك هنا تلاحظ أنَّ عناوين (الخصائص) ملتصقةٌ بفنٍّ آخر استجلبه ابنُ جني لتبرز تلك العناوينُ بهذه الطريقة، فهو عَلِمَ أنَّ الفكرَ لا يكون إلا بإضافة تهجينٍ منهجيٍّ بين تخصصه الذي يقوم به وبين تخصصٍ آخر، وبالتالي تسنى له ذلك باستجلاب (أصول الفقه وعلم الكلام)، ودمجهما في اللُّغة تجسيرًا لها أو علمًا بينيًّا أو منهجًا بينيًّا ليطبق منهجًا على منهجٍ حتى ينتج معرفةً جديدةً أصيلةً متَّكِئَةً على أصولٍ سابقةٍ، فهي ليست جديدةً، أو أنها اختراعٌ لم يُسبقْ إليه في الغرض والاستنباط والتعليل والصياغة، فأنت عندما تقرأ تقول: هذا لم يُسْبَقْ إليه ابن جني، وعندما تقرأ المضمون تجد أنه المعرفة السابقة نفسها، ولكنَّ طريقةَ عرضها وتوظيفها وتعليلها وإيراء المتلقي جوانبَها الأخرى مختلفةٌ، وهذا أمرٌ لاشكَّ لا يستطيعُ أن يفعله إلا مفكر لغوي مثل ابن جني ، أو مَنْ هو على شاكله من المتمكِّنين في الكُليَّات، والبارعين في هضم المعرفة الجزئية لإنتاج الكُليَّات، فما أشبهَ عملَ ابن جني في اللُّغة بعمل الشَّافعي -رَحِمَهُ اللهُ- في أصول الفقه في الرّسالة.

المبحث الأول: الفكر اللُّغويّ في مقدّمة الخصائص (إطاري)

يقع الباحث على عبارات فكرية سُبكت في نصّ واحدٍ متّصلٍ في مقدّمة ابن جني لكتابه الخصائص، وهي غاية في الدقة والنهج الفكري، سواء في التهيؤ للفكر بملاحظته مبكرًا، والاستعداد لجمع مادته، والتقاط جزئياته، وملاحظتها؛ ليصلَ فيما بينها، ويبني بها ومنها خطةَ عملٍ فكريٍّ متكاملٍ كما أنتجه ابن جني في الخصائص، أو في صياغته وإلباسه صبغة الفكر ومتطلباته.

وسنقف على أبرز ما في المقدّمة من عبارات وأيقونات فكرية، ونجمل الحديثَ فيها فكريًّا، ثم نحلّلها تحليلاً دقيقًا؛ لنعرف المدخل الذي أراد ابن جني أن يكون بوابةً إلى خصائصه، كيف نقشه، وكيف أصَّله فكريًّا، وسنجمل الحديث في نقاط مرقَّمة تُحمَل في إيجازٍ.

١– يقول واصفًا كتابه الخصائص: "هذا... كتابٌ لم أزلْ على فارط الحال وتقادُم الوقت ملاحظاً له، عاكفَ الفكر عليه، منجذبَ الرَّأي والرَّوية إليه، وادًّا أن أجدَ مهملاً أصلُه به، أو خللاً أرتقه بعمله"[(١)].

إذًا طول الملاحظة للفكر والانشغال الدائم به هو الطريق إلى تحصيل مادته، فهو يتطلب عكوفًا ولزومًا فكريًّا وذهنيًّا وعصبيًّا عاطفيًّا ووجدانيًّا حتى يستمر الدأب، وتجمع ذراته بوقود الشغف والرغبة الصادقة، وتأمَّلْ قوله: "**منجذبَ الرَّأي والرَّوية إليه**" أي أنَّ شغفه هو الفكر والتصور والنهج الذي

(١) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ١/١.

يسلكه فيه.

فمادة الفكر مادة نادرة وعزيزة كالدر في البحر، ولذا تحتاج إلى غائص مغامر دؤوب لا يؤثر فيه الفشل، وعنده استعداد لتكرار التجربة مهما قلّ المحصول والثمرة، مع عظم الجهد المبذول فيها "**وادًّا أن أجدَ مهملاً أصلُه به، أو خللاً أرتقه بعمله**".

وهذه الندرة والصعوبة جعلت ابن جني يحكم بتعريد الفريقين علماء البلدين: البصرة والكوفة عن مجرد التفكير في ممارسة الفكر والتعاطي مع مادته، فضلاً عن تحريره وصياغته والخوض في لُجَجه وغماره.

ولهذا كان يشتكي من الوقت وضيق نواديه والانشغال عما يتطلبه الفكر من استجمام العقل وفراغه وتفرُّغه "**والوقتُ يزدادُ بنواديه ضيقًا، ولا ينهجُ لي إلى الابتداء طريقًا**"(١)، ومدركًا صعوبة البدايات والانخراط فيها.

٢- والفكر يحتاج إلى استعداد منهجي وفكري وعقلي متّصل، وحمله على محمل الجد، وبذل كل الأسباب الموصلة إليه؛ نظرًا لشدَّة متطلباته، ونظرًا لشدّة نفعه وعائده اللغوي والمنهجي على اللغة ودراستها ودارسيها، فهو من أشرف علوم العربية، ومن أعظم ما صُنّف فيها، وهو أشهرها وأعلاها نمطًا في طريق القياس والنظر والاطراد والسيرورة والعلة وجماع الأدلة "**هذا مع إعظامي له، وإعصامي بالأسباب المنتاطة به، واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صُنِّف**

(١) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ١/١.

في علم العرب، وأذهبه في طريق القياس والنظر، وأعوده عليه بالحيطة والصون، وآخذه له من حصة التوقير والأون, وأجمعه للأدلة على ما أُودِعَته هذه اللغةُ الشريفةُ من خصائص الحكمة، ونِيطت به من علائق الإتقان والصنعة"(١).

وكل هذه الثمرات والمزايا يسجلها ابن جني في أهمية الفكر اللغوي، وعظم أثره، وليس هذا فحسب، بل الفكر اللغوي هو باب الأبواب في تحصين علم العرب في لغتها، وإعظامه لها، وإثبات التوقير والحكمة للغتهم، ولصنيعهم في لسانهم ومعرفتهم قدره وقيمته.

أمَّا الأدلة على ما في اللغة من خصائص يجليها الفكر، فإن ابن جني يقرر في منتهى الثقة أنه الباب الجمع للأدلة على ما أودعه الواضع في هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة وعلى دقة الصنعة، وما نيطت به العربية من الإتقان والصنعة من أهلها الذين تواضعوا عليها، وأرهفت حواسهم وعواطفهم على التعاطي مع خصائصها.

ومهما قلَّبْتَ فكرك في كتب الفكر اللغوي قديمًا وحديثًا وجدتَّ روح كلام ابن جني في الخصائص حاضرًا وعميقًا، مما يدلُّ على وقوعه على أُسّ الفكر ومنبعه(٢).

(١) نفسه: ١/١.

(٢) ينظر: مؤلفات تلميذه الثمانيني الموصلي، وابن سيده الأندلسي في المخصص والمحكم، وعبدالقاهر الجرجاني في الدلائل والأسرار، وابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة، وابن الأثير في المثل السائر، والسيوطي في الاقتراح وغيرهم.

٣- وابن جني وغيره من الدارسين والباحثين الشغوفين بهذه اللغة الشريفة وصلوا إلى ما وصل إليه أهلها من نتيجة سابقة؛ نظرًا لطول تماسهم معها "**فكانت مسافرُ وجوهه ومحاسرُ أذرُعه وسُوقه تصفُ لي ما اشتملَتْ عليه مشاعرُه، وتحي إلي بما خِيطت عليه أقرابُه وشواكلُه**"(١).

فهو يُشبّهُ العربيةَ بفتاةٍ حسناءَ محجوبةٍ بحُجُبٍ تنتظرُ من يشغفُ بها ليصلَ بإماطة حُجُبها ولثامها إلى مسافر وجهها وجمال خلقتها ودقة بنائها وإحكام صنعتها، وذاك طيفٌ من الإيحاء له مشاعرُ تُوصف، وفيه وحيٌ وإلهامٌ يريك ما تحت الحُجُب وما خِيطت عليه الأقراب والشواكل من لطائف ومزايا في اللغة تنكشف لكل من دلف لها من باب الفكر بروية وبصيرة.

٤- غرابة الفكر اللغوي وصعوبته وندرة مادته سبب انصراف الفريقين من علماء البلدين عنه، وهذا الواقع لازال كما كان في عصر ابن جني؛ إذ قلَّ من تناول الفكر اللغوي عند ابن جني في الخصائص في زمنه وإلى زماننا الآن بما يوازي ضخامة العمل الفكري في الخصائص ودقته.

فتعريد الفريقين من علماء البلدين: البصرة والكوفة عنه وتحاميهم طريق الإلمام به والخوض في أدنى أوشاله وخلجه فضلاً عن اقتحام غماره ولججه – وهذه عبارات ابن جني– إنما كان لامتناع جانبه، وانتشار شعاعه، وبادي تهاجر قوانينه وأوضاعه.

---

(١) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ١/١.

وهذه الشَّكوى لقلّة من يدلفون باب الفكر اللغوي ويتوغلون عمقًا في غماره ولججه هي شكوى دائمة متصلة، وما ذاك إلا لما وصفه ابن جني من انتشار شعاعه وإبهاره، وتهاجر بادي قوانينه وأوضاعه.

٥– ثم يذكر أيقونة الكتاب الفكرية والمنهجية التي جعلته عزيزًا ممتنع الجانب، وجعلت العلماء يتحامونه؛ لانتشار شعاعه، وبادي تهاجر قوانينه وأوضاعه، وهي وضع عمل أصول النحو –أي اللغة بمجملها– على مذهب أصول الكلام والفقه.

والمقصود بناء معايير أصول اللغة نحوًا وصرفًا وصوتًا ودلالةً على أصول وقواعد محكمة وكليات كبرى تخدم تفريعها وتشقيقها، وبناء فروعها على أصولها في منظومة منطقية وعقلية وفكرية كما هو الشأن في علمي الأصول والكلام، وليس الغرض تنزيل أصول الفقه والكلام وتطبيقها على اللُّغة كما هو صنيع أبو البركات الأنباري(١) والسيوطي(٢).

ولإيضاح هذا التفسير في فهم ابن جني يمكن العودة إلى بعض الدراسات الفكرية القديمة والحديثة(٣).

(١) أبو البركات الأنباري، "**الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين**"، (القاهرة: المكتبة العصرية، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م)، ١/٧.

(٢) السيوطي، "**الاقتراح في أصول النحو وجدله**"، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م)، ١–٢.

(٣) ينظر: "أصول النحو عند السيوطي"، ص٤، و"لمع الأدلة"، مقدّمة المحقق، ص٥٣–٥٧، و"التداخل والتمايز المعرفي بين النحويين والفقهاء والأصوليين"، ص٦٩–١١٤.

٦- ثم ذكر بعض الدراسات السابقة، وزهَّد فيها، وأبان ضآلة حجمها نسبة إلى ما سطَّره في كتابه الخصائص، وهي كتاب أصول ابن السراج، وجهد أبي الحسن الأخفش الأوسط، فانظر ما قاله تجاه المصدرين:

أ- "فأمَّا كتابُ أصول أبي بكرٍ[(١)] فلم يُلممْ فيه بما نحنُ عليه، إلا حرفًا أو حرفينِ في أوله، وقد تُعلّق عليه به، وسنقولُ في معناه"[(٢)].

ب- "على أن أبا الحسن قد كان صنَّف في شيءٍ من المقاييس كُتَيِّبًا، إذا أنت قرنْتَه بكتابنا هذا علمْتَ بذاك أنا نُبنا عنه فيه، وكفيناه كُلفةَ التَّعب به، وكافأناه على لطيف ما أولاناه من علومه المسوقة إلينا، المفيضة ماءَ البشر والبشاشة علينا، حتى دعا ذلك أقوامًا نزرت من معرفة حقائق هذا العلم حظوظُهم، وتأخَّرَتْ عن إدراكه أقدامُهم، إلى الطَّعن عليه، والقدح في احتجاجاته وعلله، وسترى ذلك مشروحًا في الفصول بإذن الله تعالى"[(٣)].

وواضحٌ ما عناه ابن جني من قيمة فكرية لهذينِ المصدرينِ كما هو واضحٌ في آخر النص استخفاف من لم يُعطَ ملكة الفكر بصنيع ابن جني، والناسُ

---

(١) ابن السراج، "**الأصول في النحو**"، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ١/٣٥.

(٢) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ .- ١٩٥٢م)، ١/٢، وينظر: نفسه: باب العلة وعلة العلة: ١/١٧٣-١٧٤.

(٣) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ١/٢-٣.

أعداءُ ما يجهلون، والحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره.

٧– ويختم ابن جني مقدمته القصيرة المكتنزة بالدلالات بالعلاقة الشَّخصية بينه وبين طالبٍ أثيرٍ من طلاب الفكر اللغوي عنده ممن يفقهون هذا العلم، كان السَّبب المباشر في وضع ابن جني يده في هذا الكتاب، وبدء الانشغال به، بعد أن كان يشكو من ضيق الوقت وهم البداية "**والوقتُ يزدادُ بنواديه ضيقًا، ولا ينهجُ لي إلى الابتداء طريقًا**"(١).

وهذه العلاقةُ منبئةٌ عن نمط شخصية ابن جني وإخباته وتواضعه وحبّه للعلم وطلابه.

وهذا تحليلٌ لتلك العتبات العامة في التهيّؤ للفكر اللغوي التي سطَّرها ابنُ جني في مقدمته في نقاط موجزة:

١– الشروع في الفكر اللغوي مبكرًا وكتابته آخر ما يكون في النتاج العلمي، وطوال هذه الفترة الممتدة من بداية ملاحظته إلى تدوينه وصياغته يكون الباحثُ حاضرَ الذهن في التقاط ذرَّاته وجمعها عُودًا عُودًا، وجزئيةً جزئيةً(٢)؛ حتى يبني منها كتلةً فكريةً متماسكةً كما هي في الخصائص.

٢– انبناء كليات الفكر على ركام عظيم من جزئيات لغوية في أصوات اللغة وصرفها ونحوها وجميع صناعاتها خارج معاييرها البنيوية، وتقديمها

(١) نفسه: ١/١.

(٢) ينظر: صنيع ابن الجوزي في كتابه (صيد الخاطر)، وأحمد أمين في كتابه (فيض الخاطر)، وغيرها من المؤلفات التي بنيت على التقاط الجزئيات مدة زمنية ثم تخصيص مؤلف يجمع نشرها ويضم متفرقها.

خصائص وظواهر خاضعة لطبيعة اللغة، ومشتقة منها تبرز حسنها وحكمتها وعلة صناعاتها، ويرفد كل ذلك سمت شخصي وفكري يجعل صاحبه من أرباب الفكر ومهندسيه[١].

٣- الإيمان العميق بأنَّ كلَّ هذا الفكر نابعٌ من اللغة، من ذات اللغة، وهي تحتمله وأضعاف كثيرة غيره، ولذا يدعو ابن جني الباحثين لمسايرته في التفتيش في البناء اللغوي، وأنَّ ذلك الإيمانَ بخصائص العربية وتميّزَها هو الوقودُ والزَّادُ إلى الوصول إلى تلك الخصائص اللغوية في العربية، وبدون هذه الرُّوح والإيمان واعتقاد الحكمة ووجوه الصنعة في اللغة -لا يمكن الوصولُ إلى شيءٍ من ذلك؛ لأنَّ هذا هو القصدُ الذي يُهيّئُ العقلَ والنَّفسَ والذّهنَ، ويقال: إنَّ الأشياءَ لا تقعُ لمن لا يقصدُها.

٤- موضوعية ابن جني في الفكر اللغوي، وإدراكه طبيعته، وأنه شيء آخر غير معاييرها ومقاييسها في الصوابية والسلامة اللغوية، فالفكرُ اللغويُّ عنده ليس معاييرَ عامةً في اللغة كمعيار النحو والصوت والصرف، وإنما هي خصائصُ ومزايا وظواهرُ يمكنُ التقاطُ وجودها واستكناهُ مساحتها في اللغة، وتحليلُها بهذه المنهجية، وحديثُه في الاشتقاق الأكبر والتَّصاقب والإمساس[٢] والأدلة المحورية وغيرها -شواهدُ على ذلك.

---

(١) ينظر: سيرة تلك الشخصيات العبقرية، كالخليل وسيبويه وأبي علي الفارسي وعبدالقاهر الجرجاني والزمخشري وابن هشام وابن خلدون.

(٢) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ١٣٣/٢، ١٤٥، ١٥٢.

٥- كانت الصِّفاتُ والسَّمتُ الذاتيُّ الشَّخصيُّ لابن جني والقدراتُ العقليةُ والفكريةُ والشَّغفُ المنهجيُّ الدَّؤوبُ -هو زادُ ابن جني للوصول إلى ما وصل إليها[١]، **ومظاهر ذلك**:

أ- الابتكار وإلى أوسع مدى "**فكلُّ مَنْ فُرِقَ له عن علةٍ صحيحةٍ وطريقٍ نهجةٍ، كان خليلَ نفسِه، وأبا عمرو فكرِه**"[٢]، "**ما على النَّاسِ شيءٌ أضرّ من قولهم: ما تركَ الأوَّلُ للآخر شيئًا**"[٣].

ب- توسيع الذّرّات للتكون مجرات الفكر من انقداح الزناد، وعكوف الفكر الدائم في هذه اللغة العبقرية، ومحاولةُ تدوير الزّوايا، وعدم الإسراع إلى الحكم والاستنتاج، واعتماد التوصيف والمنهج الجدلي: **(فإن قيل، قلنا)**[٤] وسيلةً لتحصيل المحتوى، واستثمارُ أيّةِ لطيفةٍ ولو صغُرَتْ ليبني عليها غيرها لتعظيم نتائج أخرى وسطيّة ونهائية تبنى على هذه النتائج الأولية.

ج- طبيعةٌ خاصةٌ، واستعدادٌ خاصٌّ لطيفٌ وُفِّق إليه ابن جني، وهو يريدُ

(١) سيأتي مزيدُ بيانٍ وتفصيلٍ في المبحث الثالث (سمات الشخصية الفكرية في الخصائص).

(٢) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ١/١٩٠.

(٣) نفسه: ١/١٩٠-١٩١.

(٤) نفسه: ١/٢٠، ٢١، ٤١، ٤٣، ٥٠، ٨٣، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، و"الكتاب"، مشحون بهذا الأسلوب.

تنميته في الباحثين: "**فهذا ونحوه أمرٌ إذا أنت أتيْتَه من بابه، وأصلحْتَ فكرَك لتناولِه وتأمُّلِه، أعطاك مقادتَه، وأركبَكَ ذروتَه، وجلا عليك بهجاتِه ومحاسنَه، وإن أنت تناكرْتَه وقلْتَ: هذا أمرٌ منتشرٌ، ومذهبٌ صعبٌ موعرٌ، حرمْتَ نفسَك لذّتَه، وسددتَّ عليها بابَ الحظوة به**"(١)، "**واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صُنّف في علم العرب**"(٢).

د- طريقة جمع مادة الفكر اللغوي "**وأدًّا أن أجدَ مهملاً أصلُه به**"، وطريقة رقمه وتسجيله عودًا عودًا "**مع إعظامي له، وإعصامي بالأسباب المنتاطة به**"، وفتح نوافذ الذهن تامة "**ملاحظًا له**" دائم العكوف عليه، وعدم إغلاق الباب أبدًا "**على تقادُم الوقت**"(٣)، وذكاء الأسئلة وغباء الأجوبة، والاستمرار في التوصيف، مع الزهد في الحكم وإبقاء العقل مفتوحًا لأي محتملات متجددة.

٦- كلُّ ذاك إدراكًا من ابن جني لصعوبة البحث في الفكر اللغوي على مختلف الأصعدة مما استدعى كل تلك الآليات، **ومنها**:

أ- صعوبة في مادته، وفي جمعها، والتقاطها، وتحليلها، وتوظيفها والخروج بنتائج محددة منها

(١) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ١٦٢/٢.

(٢) نفسه: ١/١.

(٣) نفسه: ١/١.

مما يتطلب اليقظة الدائمة، والذهن الحاد المتوقد المتحفز مما يدعو إلى الإرهاف، وهذا ما يتطلب الشغف وقودًا، والصبر زادًا، والمطاولة منهجًا.

ب- معرفة الجميع بذلك، ولذا عرَّدوا عنه، وأنه سير في أرضٍ بِكْرٍ لا خُطى سابقةً فيها وأرضٍ حزنةٍ لم تطرقْها قَدَمٌ قبل ذلك.

ج- صعوبة الإقرار للباحث بالنتائج في الفكر اللغوي، مما يدعوه إلى اللُّطف وحسن التّأتّي وإشراك القارئ معه في البحث والجهد؛ لعله يظفر بأُذُنٍ واعيةٍ، وعقلٍ مُصغٍ متقبّلٍ.

٧- الفكر اللغوي أعمق ما يكون في طريق القياس والنظر والاستنباط والانتزاع، فالفكر اللغوي يعود على علم العرب بلغتهم بالتحوط والصيانة والحفظ؛ لأنه يبرز خصائصها، ويري وجه الحكمة فيها، ويجلي التعليل والتدليل بما يكشف مقاصد العرب في لغتهم وأغراضهم فيها، وإظهار رهافة حسّهم ووجه الحكمة والعبقرية في لغتهم، ويظهر عبقرية اللغة وعبقرية العرب في لغتهم، والعلاقة الوثيقة بين اللغة الفصحى والناطقين بها؛ إذ هي صورة كاملة عنهم، وانظر صيغ التفضيل في عبارات ابن جني: (**أشرف، أذهب، أعود، آخذه، أجمعه**)[1]، نعميجمعُ الأدلةَ والبراهينَ، ويكشفُ عنها وعن دلالاتها بما يبرز خصائص العربية وأوجه الأحكام ومظاهر الحكمة فيها، وما تعلقت به بنيتها من أسباب

(١) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ١/١.

ووسائط الإتقان والسبك والصنعة المطردة التي لا تناقضَ فيها ولا اضطرابَ، وقد تظافر العرب ومن بعدهم اللغويون على إثبات تلك الصنعة المتقنة في اللغة.

٨- العلمُ عزيزٌ، والفكرُ أعزُّ، والفقهُ نادرٌ، ومسالكُ الفقه -وهي الفكر- أندرُ، وهي الفقهُ وأصولُه، وبناءُ منهجية في اللغة تشاكله، تقوم على التعليل وإيراء المتلقي خصائص اللغة

ودقائق العربية كما هي من بنيتها وليس خارجها، والتدليل على ذلك، ومن عبارات ابن جني المتكررة: "**ألا تراك**[١]، **وهذا أمرٌ إذا تأمَّلْتَه**[٢]"، ونحوها.

٩- انظُرْ تعريفَ ابن جني للفكر اللغوي تعريفًا إجرائيًّا: "**عمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه**"[٣]، وقد سبق المقصود بهذه العبارة، وتطبيق ابن جني لها في الخصائص.

(١) نفسه: ١/٩٩، ١٠٧، ١٠٩، و"الكتاب"، مشحون بهذه العبارة.
(٢) نفسه: ١/١١٠، ١١١، ٢١٥، ٢/٣٧١.
(٣) نفسه: ١/٢.

المبحث الثاني: مرتكزات ابن جني في تجلية الفكر اللغوي في الخصائص

(العرب والعربية، والنحويون ومعاييرهم والصناعة اللغوية)

لقد اتكأ ابن جني على مرتكزات جلَّى من خلالها جوانب مذهلة من الفكر اللغوي في العربية، وأظهر عبر هذه المرتكزات والآليات التفكيكية خصائصَ العربية وخصائصَ تفاعل العرب مع قدراتها، وكيف جلَّى أهلُ الصناعة ذلك ورصفوه نضيدًا.

فمن مرتكزات الفكر عند ابن جني: مكانة العربية عنده، ومقامها في نفسه، وهو مقام عظيم، يُدرِكُ قدرَه كلُّ من خبرَ ابنَ جني وقَرُبَ من تناوله للغة وتفاعله معها ومع دراستها محاولاً أن يستكنَه خصائصَها، ويجلي مفاتنَها، وإذا نظرْتَ إلى تعبيراته وأساليبه في ذلك ازددت رسوخًا في هذا اليقين لديك: **"فكانت مسافرُ وجوهه ومحاسرُ أذرُعه وسُوقه تصفُ لي ما اشتملَت عليه مشاعرُه، وتحي إليَّ بما خِيطَت عليه أقرابُه وشواكلُه"**[(١)]، وهكذا كان ابن جني أنموذجًا لدارسي الفكر اللغوي بما قام في نفسه تجاه طرفي العلاقة تلك.

إنَّ تموضعَ ابن جني من العربية تموضعٌ فريدٌ، قلَّ أن تجدَ له نظيرًا: **"وأجمعه للأدلة على ما أُودِعته هذه اللُّغةُ الشَّريفةُ من خصائص الحكمة، ونِيطت به من علائق الإتقان والصنعة"**[(٢)]، وكانت الثمرة، فإذا فليْتَ العناوينَ والأفكارَ والقضايا التي رقمَها ابنُ جني في خصائصه تبيَّنَتْ تلك الثمرةُ والمعاييرُ التي نمت وبسقت تبعًا لتلك المرتكزات التي قامَتْ عليها، وهذا

(١) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م)، ٢/١.
(٢) نفسه: ١/١.

أمرٌ لا يخفى على أدنى ناظرٍ في الخصائص، فضلاً عن متخصّصٍ قد استبطن خصائصَ الخصائص.

والسؤالُ: كيف أقام ابن جني هذه المرتكزات الأربعة لخدمة الفكر، ووظَّفها آليات تفكيكية لكتلة الفكر اللغوي الصلبة في العربية؟

والجواب: أنَّ اللغةَ صورةٌ لعبقرية العرب في لغتهم، فهي لغةٌ مفكّرةٌ مبدعةٌ بذاتها، وهكذا اعتقد أهلُها فيها، وهكذا مارسوها، فالعربيُّ عبقريٌّ لسانيٌّ متفنّنٌ في لغته، متمكّنٌ منها، يعرف مقدار الصنعة والحكمة فيها، وعنده اعتزاز وانتماء لها هي مكانته الاجتماعية وقيمته الذاتية[1]، ولذا كانت معجزتهم لسانية: **{أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}**[2].

وكذلك دارسو اللُّغة الذين شُغِلوا بهذه العلاقة بين العربيّ ولغته سايروا الطرفينِ في تعميق العلاقة في دراساتهم وأبحاثهم، ومن هنا جاءت معايير العربية وقوانينها التي أخذوها من أفواه العرب تلقيًّا وروايةً وسماعًا مسايرة ومتساوقة لتلك المنظومة القواعدية والفكرية، فاستتمت الأركان الأربعة: العرب، والعربية، واللغويون أهل الصناعة، والمعايير الصناعية، وقد رسَّخ ابن جني تلك المرتكزات بما لا مزيد عليه خاصة في الخصائص.

تلك هي أبرز المرتكزات التي ظهَّرها ابنُ جني في تجليته الفكر اللغوي في كتابه الخصائص، واعتمدها أعمدةً وروافع لتظهير خصائص العربية.

---

(١) عبدالعزيز الصاعدي، **"منهج ابن جني في "الخصائص"، بين صنعة النحاة وسليقة العرب"**، (رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية، ١٤١٤هـ). ٣٨-٥١.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٥١.

إنَّ اللغةَ الفصحى لغةٌ عبقريةٌ مفكّرةٌ بذاتها في بنيتها وأصواتها وتراكيبها وأساليبها، وعند مجمل الدارسين للعربية وبناة معاييرها.

ويمكنك أن تستقرئَ نصوصًا مذهلةً ووافيةً وعميقةً في جانب الفكر اللغوي في كلّ مستوى من المستويات اللغوية.

كما أنَّ **ثنائيةَ: (العرب والعربية)** وعبقريةَ كلّ طرفٍ من هذينِ الطرفينِ وتفاعلَهما معًا من المرتكزات الكبرى التي أقام عليها ابنُ جني كتابَه الخصائص، وله غرضٌ وظَّفَ فيه هذه المعطيات، وهو تجليةُ خصائص ومزايا وسمات العربية.

انظر إليه كثيرًا ما يقولُ: **"ليس غرضنا"، "وإنما غرضنا"**[(١)]، وهذا مما اقتبسه الجرجاني في دلائله من ابن جني[(٢)].

وهكذا قام اللغويون بعامة في صناعاتهم اللغوية بمفهومها العام في كل مستويات اللغة بتجلية هذه العلائق وبيان وجه حكمة العرب في لغتهم من خلال ما استنبطوه من معايير عندما استنطقوا العرب في جزيرتهم على مدى أربعة قرون، وعكفوا على دراسة هذا الإرث اللغوي الضخم السامق، فازهر الفكر ورسخ وثبت العلم اللغوي اليقيني بصحة معايير العربية، وأنها طبقًا للسان العربي الذي سُجِّل ورُوِي من أفواه العرب الخُلّص[(٣)].

(١) ابن جني، **"الخصائص"**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م)،١/٣٢، ٢/٩٣.

(٢) عبدالقاهر الجرجاني، **"دلائل الإعجاز"**، (القاهرة: مطبعة المدني، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، ٩٨.

(٣) عبدالعزيز الصاعدي، **"منهج ابن جني في "الخصائص"، بين صنعة النحاة وسليقة العرب"**، (رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية، ١٤١٤هـ)، ص.٣١٠ وما بعدها.

أولاً: العرب

وفي تأكيد ما للعرب من استعدادٍ فكريٍّ لغويٍّ طبعيٍّ وذاتيٍّ، انظُرْ دلالةَ هذينِ النّصينِ في الخصائص، فهما حاكمانِ في قضية إثبات حكمة العرب في لغتهم، وبيان جهات الفكر فيها:

الأول: قوله: **"لأنَّ اللهَ سبحانه إنما هداهم لذلك ووَقَفَهم عليه؛ لأنَّ في طباعهم قبولًا له وانطواءً على صحة الوضع فيه؛ لأنهم –مع ما قدّمناه من ذكر كونهم عليه في أوّل الكتاب من لطف الحسّ وصفائه، ونصاعة جوهر الفكر ونقائه– لم يُؤْتَوا هذه اللُّغة الشَّريفة المنقادة الكريمة إلا ونفوسُهم قابلةٌ لها، محسّةٌ لقوة الصنعة فيها، معترفةٌ بقدر النِّعمة عليهم بما وهب لهم منها"**(١).

والثاني: قوله: **"بابٌ في أنَّ العربَ قد أرادَتْ من العِلَل والأغراض ما نسبناه إليها، وحملناه عليها: اعلمْ أنَّ هذا موضعٌ في تثبيته وتمكينه منفعةٌ ظاهرةٌ، وللنفس به مسكةٌ وعصمةٌ؛ لأنَّ فيه تصحيحَ ما ندعيه على العرب: من أنها أرادَتْ كذا لكذا، وفعلَتْ كذا لكذا، وهو أحزمُ لها، وأجملُ بها، وأدَّلُ على الحكمة المنسوبة إليها، من أن تكون تكلَّفَتْ ما تكلَّفَتْه: من استمرارها على وتيرةٍ واحدةٍ، وتقرّيها منهجًا واحدًا، تراعيه وتلاحظُه، وتتحمَّلُ لذلك مشاقَّه وكُلَفَه، وتعتذرُ من تقصيرٍ إن جرى وقتًا منها في شيءٍ منه"**(٢).

---

(١) ابن جني، **"الخصائص"**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م)، ١/٢٤٠.

(٢) نفسه: ١/٢٣٨-٢٣٩.

وعند تحليل هذين النصين، ونثر دلالتهما تجد **الأول** يقوم على قوة إحساس العرب وتفطُّنهم وحضور فراستهم وألمعيتهم في لغتهم[١]، يضاف إليه: قوة تخيلهم في إمكانياتها، واليقين بوجه الحكمة فيها بما لا حدَّ له مما لا يقعُ في وهم مَنْ لم يسايرْهم في التَّفاعل مع لغتهم، ويدركُ ذاك مَن سبر سيرتهم، وسلك مسالكهم في التعاطي مع لغتهم، فاحتذى حذوَهم الفكري، وهكذا كان ابن جني[٢]، وذاك مركوزٌ في طباعهم وملكاتهم، ولذا هداهم اللهُ إليه مِنَّة منه عليهم، فهم متقبّلون، وإليه منجذبون؛ بسبب لطف حسّهم ونقائه، وصفاء فكرهم ونصاعته، وكذلك كانوا أهلاً له لهذه اللغة الكريمة الشريفة التي خوطبوا بها، وهم أعرف الناس بها، وإحساسهم بمتانة الصنعة فيها وعلائق الحكمة بما لا مزيد عليه[٣].

أمَّا النص **الثاني** فإنَّ ابن جني يسوقه مدللاً على استثماره وجلاء جوانب الفكر فيه، وأنه عصمة للعرب في لغتهم أن يعتقد فيهم وجه الحكمة؛ ذلك لقيام تعليل أفعالهم في ابتناء لغتهم، وسنّ معاييرها على وجه فكري مدلل ومعلل ومتسق لا خلل فيه ولا اضطراب لا يعتريه النقص، وأنهم يتكلفون ذلك

(١) ينظر: ابن قتيبة، "**تأويل مشكل القرآن**"، (القاهرة: مكتبة دار التراث، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م). ص٨٢.

(٢) ينظر: ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م)،١/٦٤، ٧٦.

(٣) ينظر: سيبويه، "**الكتاب**"، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٤، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م)، ٣/٣٢١، والجاحظ، "**البيان والتبيين**"، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٥، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م)، ١/١٦٢، ١٦٤، وابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م)، ١/١٧٥، ٣/١٧٧.

الفكر في لغتهم واستعمالها حتى تبدو علائق الحكمة ومناطاتها متسقة لا تنتقض، وذاك ما يؤدي إليه النظر والتحصيل عند أولي النظر، وأنهم أرادوا بكل شيء شيئًا، وكما يقول سيبويه: "**وليس شيءٌ مما يُضطرّون إليه إلا وهم يحاولون به وجهًا**"(١).

وذاك أولى وأدعى من أن يقال: إنها أشياء تشابهت فتناظرت وتساوقت واتفقت دون وجود قصدٍ من العرب لها، بل هي مقاصد وأغراض وفكر وجهد بذل في ابتناء لغتهم واستعمالاتها على أوجه مستقرة متسعة.

وتثبيت هذا الوضع وإثباته للعرب، وتمكينه في النفس يقينًا راسخًا فيه منفعة فكرية لغوية ظاهرة؛ لأن فيه التصحيح والتدليل والتعليل لما يثبته ابن جني للعرب في لغتهم من التعليل والحكمة، وأنها فعلت كذا لكذا، وتركت كذا لكذا، وهذا أحزمُ لها، وأجملُ بها، وفيه الأدلة العظيمة على أوجه الحكمة اللغوية والفكر اللغوي الذي ينسب إليها، "**من أن تكون تكلَّفَتْ ما تكلَّفَتْه: من استمرارها على وتيرةٍ واحدةٍ، وتقرّيها منهجًا واحدًا، تراعيه وتلاحظُه، وتتحمَّلُ لذلك مشاقَّه وكُلَفَه، وتعتذرُ من تقصيرٍ إن جرى وقتًا منها في شيءٍ منه**"(٢).

وانظُرْ ابن جني يقرّر غرضه من تأكيد هذا الكلام حول فكر العرب في

(١) سيبويه، "**الكتاب**"، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٤، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، ٣٢/١.

(٢) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ٢٣٨/١-٢٣٩، وينظر أيضًا: ابن قتيبة، "**تأويل مشكل القرآن**"، (القاهرة: مكتبة دار التراث، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م). ص٧٥-٧٦، وابن فارس، "**الصاحبي في فقه اللغة**"، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه). ص٣٢١-٤٧١.

لغتهم المفكرة، وأنه عنده يقين معلل ومدلل بقوة حسّهم وفكرهم وملاحظتهم: **"وإنما مكَّنْتُ القولَ في هذا الموضع ليقوى في نفسك قُوّةُ حسّ هؤلاء القوم"**(١).

وأنَّ هذه الملكة الفكرية لديهم جِبِلّةٌ وسليقةٌ كما هي الحال مع لغتهم ولسانهم(٢)، وأنها تفوق الصنعة والبحث والدراسة التي استعاض بها النحويون عندما فُقِدَت السَّلائقُ، اقرأه يقول في وصفهم: **"وإنما مكَّنْتُ القولَ في هذا الموضع ليقوى في نفسك قُوّةُ حسّ هؤلاء القوم، وأنهم يلاحظون بالمنة والطباع ما لا نلاحظه نحن عن طول المباحثة والسَّماع"**(٣).

ثم يؤكد ويقول مقرّرًا ومحفّزًا ومنبّهًا ومبيّنًا شدة الحاجة إلى هذا الاعتقاد فيهم: **"فتأمَّلْه؛ فإنَّ الحاجةَ إلى مثله ظاهرةٌ"**(٤)؛ وذاك لأنه لن يقع في ذهنك فكر العرب في لغتهم وقوة حسهم فيها وتفطنهم لخصائصها حتى يقوم في نفسك ما قام في نفس ابن جني تجاههم: **"هكذا ينبغي أن يعتقد وهو أشبه بحكمة العرب"**(٥).

بل يتوسع في آفاق من التخيل والافتراض في رفد ذلك الاعتقاد لديه في

(١) ابن جني، **"الخصائص"**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ٢٧٦/٣.

(٢) الزجاجي، **"الإيضاح في علل النحو"**، (بيروت: دار النفائس، ط٥، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م). ص٦٦.

(٣) ابن جني، **"الخصائص"**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ٢٧٦/٣.

(٤) نفسه: ٢٧٦/٣.

(٥) نفسه: ٣٧٦/١.

العرب، فيقول: "**كذلك لا ننكرُ أن يكونَ اللهُ تعالى قد خلقَ من قبلنا – وإن بعُدَ مداه عنّا– من كان ألطفَ منّا أذهانًا، وأسرعَ خواطرَ، وأجرأَ جنانًا**"(١)، وهذا باب يحلِّق فيه ابن جني وهو إعظام السلف الأوائل عربًا ونحويين(٢)؛ لأنهم من خوطبوا باللغة؛ فهم أعرفُ الناس بها وبمذاهبها وخصائصها(٣).

فالوجه اللازم: هو اعتقاد حكمة العرب في لغتهم، ومقاربة ظواهر تلك اللغة وخصائصها على ذلك الوجه، وكل ما أدى إلى حكمة العرب وشابهها، وليس ذلك عاطفةً أو إنشاءً من ابن جني، بل لأنَّ: "**المرويّ عنهم في شغفهم بلغتهم، وتعظيمهم لها، واعتقادهم أجملَ الجميل فيها، أكثرُ من أن يُورَدَ أو جزءٌ من أجزاءٍ كثيرةٍ منه**"(٤)، وهذا شيء مطرد متواتر عنهم، ومنهم أخذ ابن جني هذا الشغف باللغة والتعظيم لها، فجعل الفكرَ وسيلته لتجلية خصائص لغتهم ومقاصدهم فيها.

وتلك بصيرةٌ وفكرٌ اشتملوا عليه في تأمُّل مواقع لغتهم ومفاصلها(٥)،

---

(١) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م)، ٤٨/١.

(٢) نفسه: ١٩٠/١، ٣٠٩/٣-٣١٣.

(٣) ابن خلدون، "**المقدمة**"، (القاهرة: نهضة مصر، ط٤، أكتوبر ٢٠٠٦م)، ١١٣٨/٣.

(٤) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م)، ٢٤٣/١.

(٥) الزجاجي، "**الإيضاح في علل النحو**"، (بيروت: دار النفائس، ط٥، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م). ص٦٦.

وإعطائهم الاستحقاقات الواجبة في الفكر اللغوي، واسمعْه يعلّق على محاورته لأبي عبدالله محمد بن العساف العقيلي الذي يأبى الخطأ والزيغ واللحن رغم محاولة ابن جني له على ذلك وإدارة ابن جني له على الرفع في (أخوك) وهو منصوب، فقال: **"لا أقول أخوك أبدًا"**، ثم عقب منكرًا بقوله: **"إيش هذا؟ اختلفت جهتا الكلام"**، وتأمل تعقيب ابن جني: **"فهل هذا إلا أدّلُ شيءٍ على تأمُّلهم مواقعَ الكلام، وإعطائهم إيّاه في كلّ موضعٍ حقَّه, وحصّتَه من الإعراب, عن ميزةٍ وعلى بصيرةٍ, وأنه ليس استرسالًا ولا ترجيمًا، ولو كان كما توهّمَه هذا السَّائلُ لكثُرَ اختلافُه، وانتشرَتْ جهاتُه، ولم تنقدْ مقاييسُه"**(١).

ثانيًا: العربية

أمَّا العربية فابن جني ينظر إليها على أنها لغة مفكِّرة ومساعدة على التفكير فيها وبها وعبرها من خلال بنيتها وتكامل بنائها والطريقة التي بنت العربُ قوانينَها ومعاييرَها من ذات بنيتها ومن صلب نسيجها الذاتي البنيوي الذي رصدوه سماعًا من أفواه أهلها الناطقين بها(٢).

فاللغةُ صورةٌ للناطقين بها، هذا على وجه الإجمال، والفصحى تحديدًا أجلى لغة يظهر فيها هذا التَّفنُّن وذلك الافتنان(٣).

(١) ابن جني، **"الخصائص"**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ٧٧/١-٧٨.

(٢) الجاحظ، **"البيان والتبيين"**، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٥، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ١٦٣/١.

(٣) ابن خلدون، "المقدمة"، (القاهرة: نهضة مصر، ط٤، أكتوبر ٢٠٠٦م)، =

ومن فلى نصوصه في الخصائص وعناوين الأبواب التي سبكها والظواهر اللغوية والخصائص التركيبية والصرفية والصوتية التي ظهَّرها من حاق اللغة حصل له ذلك يقينًا لا شك فيه.

وهذه منطلقات الفكر عنده، فبعد العرب ها هي العربية وطاقاتها التعبيرية والأسلوبية وعبقريتها التي هي شاهدةٌ بتفوقها وعلى عبقرية أهلها فيها[1]، والتفاعل بين الطرفين يكشف كل تلك الخصائص والسمات والمزايا التي جلاها وظَّهرها ابن جني عندما اعتقد الحكمة وعلائقها والعصمة ومناطاتها في بناء العربية تلك اللغة التي طالما وصفها بالشريفة[2].

ووجه الحكمة فيها: هو السمت الذي كان عليه ابن جني في تعامله معها مستجليًا باستمتاع ورهافة حس تلك الخصائص التي سحرته وملكت عليه منافذ فكره.

وهذا أمر يحتاج إلى تمرُّسٍ ومِرانٍ ودُربةٍ بمسالك العرب في لغتها، وهو لا ينقاد لجافٍ غليظ الطبع لا يساير طبيعة اللغة، ولا يتفاعل معها بذات الطريقة التي تفاعل بها أهلها معها كما يقرّره ابن جني.

فالطريق غريب، ونادر، وهي غرابة فريدة، ومسالك دقيقة، معجبة مورقة مزهرة مثمرة يتعجب منها كل مَن فُتِحَ له فيها، وهي تتطلب إمكانيات

=

٣/١١٢٨-١١٢٩.

(١) عمر فروخ، "**عبقرية اللغة العربية**"، (بيروت: دار "الكتاب"، العربي، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م). ص٧.

(٢) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ١/١، ٥، ١٧، ٤٧، ٢٣٩، ٢/١٢١، ٣/ ٢٤٥-٢٤٦.

منهجية وشخصية وتصور عميق لبنية اللغة وبنائها.

فأغوارها عميقة، وهي لغة كريمة لطيفة شريفة، أحس واضعها بذلك؛ من سعة مذاهبها وبدائع الصنعة في أنماطها، فبادلها كرمًا بكرم، وشرفًا بشرف، ولطفًا بلطف، وسايره الباحثون والدارسون على ذلك، فاستتمت المنظومة: ممارسةً ودراسةً وروايةً وتقعيدًا وفكرًا وفلسفةً لغويةً.

فالثراء والغنى والبذخ والترف من أهم مظاهر اللغة الفكرية كما يتصورها ويصورها ابن جني، وقد أحسن أهلها في استخدامها عندما أحسوا بها.

فبناء اللغة مرصوص وتركيبها متلاحم مسبوك، وهو تلاحم منسجم متلاحم ملحوظ في ذات بنائها، وينطلق من رصف بنيتها وأجزاؤها متلاحمة مطردة متلاحقة متناسبة متناغمة، قد وضعت بعناية ورصف، لم تقتعث اقتعاثًا ولا هيلت هيلاً, بترجيم ولا بتنجيم كما يقرّر ابن جني[1]، بل أحسن واضعها بها، واعتنى بها بما هي أهله من الشرف والتوقير والعناية، فاستعد وتفطن وتهيأ، فأحسن مصاحبتها، وأجاد ملاينتها، وسلك السبل الموصلة لوصلها ومطاوعتها، فانقادت له، ووفق بالإصابة والأصالة فيها.

لقد أدرك واضع اللغة وممارسوها طبيعتها المبدعة، فجعل الإبداع الفكري طريقة لتجلية مسالك الفكر فيها، فتجلت له خصائصها، وقامت في نفسه علائق الصنعة والحكمة فيها، مما جعل الدارسين لها والمفكرين في مزاياها يدركون المرامي التي وصل إليها العربي في لغته، ويسايرونه في تسجيلها ورصدها.

وانظر النصوص واستقرئ تركيز هذا المعنى وتكثيفه في خلد ابن جني،

(١) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ٣١٢/١.

والذي كان اليقين به هو الذي أعانه على تظهير خصائصها، وإبراز جوانب الفكر فيها.

وإنما نقف هنا في العربية في نظر ابن جني مراعاة لطبيعة البحث الموجزة في هذا الوعاء، وإلا فإن الأمر واسع لسعة رصد ابن جني تجاه العربية وعبقريتها، تلك اللغة التي فُتِن بها فمحضها كل عنايته فنتج له في خصائصها بقدر ما قام في نفسه تجاهها، وذاك فضل الله يؤتيه من يشاء، فتتبُّعُ هذا الموضع يقفُك على شيء من الافتتان من ابن جني بلغة العرب وبالناطقين بها وبالتكامل في ما بينهما.

ثالثًا: أهل الصنعة وأرباب الصناعة

النحويون ودارسو اللغة من الركائز والآليات التي اعتمدها ابن جني في تجلية الفكر في الخصائص، فهو يتحدث عن الصناعة اللغوية وأهلها بصفتهم شُركاءَ في تحصيل الفكر اللغوي في العربية الفصحى وإنتاجه، تأمَّلْ قولَه: **"باب في أنَّ العربَ قد أرادَتْ من العِلل والأغراض ما نسبناه إليها، وحملناه عليها"**(١).

وتأمَّلْ مضمونَ الباب ومحتواه لتعرف مقدار الشراكة في المرتكزات الفكرية التي يرى ابن جني أن الصناعة وأهلها وما صاغوه فيها من معايير مع العرب الناطقين بلغتهم سليقة وملكة وما في تلك اللغة من طاقات لغوية وفكرية وبنيوية -ركائز لا تنفكُ بحال من الأحوال، فهي منظومة متواشجة متكاملة، وظَّفها ابن جني في كوكبة منتظمة لإبراز خصائص العربية وتجلية

(١) ابن جني، **"الخصائص"**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ٢٣٧/١.

الفكر فيها.

وعندما نقول: (الصناعة اللغوية) فإنها تشكل كل أوجه الصناعة اللغوية بكافة مستوياتها النحوية والصرفية، وقبلها الصوتية، وبعدها البلاغية والأسلوبية، وهي بهذا الفهم والتصور هي الأصول الفكرية التي أراد أن يبنيها لتحصيل الفكر اللغوي على ما سبق إبرامه في علمي الأصول الفقهية والكلامية كما صرَّح في مقدّمته(١).

وهذا تجسير فكري يقوم به ابن جني، وعلم بيني بين اللغة والأصول وعلم الكلام قائم على اشتراك منهجي في الأطر والكليات الفكرية، مع احتفاظ كل علم بمحتواه وطبيعته وقوانين صنعته التي قام عليها، والإفادة من القواسم الكبرى والكليات التي تخدم تلك العلوم، مع احتفاظ كل منها بخصائصه ومضامينه وما يتطلبه من أصول صناعية مرعية في تحصيل وتحصين مادته.

وكفى بذلك رشدًا وحصافة ومنهجيةً فكريةً عاليةً ودقيقةً يمارسها ابن جني بكل اقتدار فيما بين هذه العلوم الثلاثة مما يدل على ضلاعته وتمكن مذهل فيها جميعًا، كل منها على انفراد، وبين مجموعها والكليات الفكرية التي تجمعها، ويمكن الإفادة منها في ما بينها بدون خلط ولا تخليط وبدون تزيُّد ولا تزوير.

وهذا التجسير بين العلوم الثلاثة سبقه جهد فكري ومنهجي عند ابن جني في طرحه اللغوي بالتوشيج بين مستويات اللغة: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والأسلوبية، مما يعد بحق في الخصائص تقديم رؤية لغوية مكتملة تعيد اللحمة إلى اللغة في دراستها واستجلاء خصائصها كما هي في ممارستها، والنطق بها في ألسنة أهلها، وتوظيف الصناعة اللغوية لتحقيق هذا الغرض.

(١) نفسه: ١/٢.

وهذه ثمار عظيمة ومزايا كبيرة تحققت لابن جني في رؤيته اللغوية يدركُها كلُّ من نظر في هيكلة الخصائص إلى الأبواب والعناوين والقضايا التي أثارها ابن جني.

أما الذين درسوا كلام العرب في لغتهم، وشاركوهم في تجلية خصائص لسانهم فهم بالعرب لاحقون، وعلى منهجم سائرون، ولرسومهم مترسمون، يعتقدون فيهم العصمة وسداد الفكر وعلائق الحكمة، كما يعتقدون في لغتهم العبقرية والذكاء[1]، ولذا هم ينظرون هذه النظرة المزدوجة إلى العرب وإلى العربية؛ ليستخلصوا خصائص الحكمة، ويقفوا على أوجه دقة الصنعة فيها، فيُظهرونها أبهى تظهيرٍ، ويجلونها أجمل تجلية، ومن وقف على صنيعهم أدرك هذه الحقيقة، ومن سبر غور دراساتهم وبحوثهم أيقن بهذا اليقين فيما احتوته تلك الكتب في معايير العربية المطردة، أو في ظواهرها المختصة، أو في خصائصها المبدعة التي تنفرد بها عن بقية اللغات.

إنَّ القرن الرابع على وجه التحديد قرنٌ فريدٌ في الفكر اللغوي، يصح بحق أن يطلق عليه قرن الإبداع والتفنن في الابتداع، وإطلاق الفكر واستكناهه بعد أن فُرغ في القرون قبله من المعايير المطردة والسنن الجارية التي اشتغل بها السلف في القرون الثلاثة الأولى، فلما استتمت ونمت وتفرعت وأزهرت وأثمرت ثمرًا علميًّا ومنهجيًّا رائقًا على مستوى التعلم أو على مستوى الوقاية والحفاظ، انبرى ابن جني ومن في طبقته يجلون الفكر اللغوي في بيان وجه الحكمة في الابتناء الذي بُني، والشموخ التعليلي بما يظهر أوجه الحكمة والافتنان بما سُبك

(١) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ٣٠٨/١، ٢٩٨، ٤٢/٢-٤٣.

وبما سُنَّ من قوانين مطردة لا تتخلف ولا تضطرب، وكل ذلك مما ترفده اللغة في بنيتها، وتدلل عليه من خصائصها دون ترجيم ولا تهويل.

رابعًا: معايير العربية

من المرتكزات التي اعتمدها ابن جني في تجلية الفكر في العربية من خلال الخصائص هي الصناعة النحوية بكل حمولاتها المعيارية والتعليلية، فهي كاشفة عن عبقرية العربية وعبقرية الناطقين بها وتفاعلهم معها.

فإذا ذهبت إلى دائرةٍ أُخرى من عمل النحويين وأهل اللغة وصناعاتهم على مختلف مستويات اللغة، ونظرت عميقًا في طبيعة تلك المعايير الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية وجدتها من الغزارة والشمولية في الخصائص بحيث تغلغلت في مختلف مفاصل الكتاب حتى غشيته من مبتدئه إلى منتهاه، مما شكل أنموذجًا طبيعيًّا للغة في ممارستها حيث لا فصل بين مستوى ومستوى، بل هي منظومة متكاملة يخدم فيها الصوتُ البنيةَ، والبنيةُ التركيبَ، والتركيبُ الإسنادَ، فتتجلى الدّلالةُ.

وهذا أحد مظاهر توفيق ابن جني في استثمار هذه المرتكزات في تجلية الفكر اللغوي بمقاربة صناعاتها بممارستها حتى استطاع أن يستبين هو ويبين لكل ذي فكر لغوي ومنهج متسق صورة ذلك الفكر.

وحتى لا يكون الكلام ارتجالاً وإنشاءً هنا انظر إلى أبواب وعناوين الخصائص في مسحٍ شاملٍ لكل الكتاب في أجزائه الثلاثة، وانظُرْ كيف يتموضع بالظواهر اللغوية كافة من أعلى الكليات إلى أدق الجزئيات، تجاه استنطاقه الفكر اللغوي فيها وما يصفه بحكمة العرب في هذه اللغة الكريمة الشريفة، وانظُرْ كيف يُعَنْوِنُ لتلك الظواهر اللغوية الشاملة بعناوينَ فكريةٍ حتى أصبحت أيقوناتٍ ناطقةً بالفكر اللغوي الذي يتصوره ابن جني في لغة العرب

العبقرية الحكيمة.

فإذا أنت تأمَّلْتَ هذه الأبواب وفليتها، وأيقنْتَ أنها من الصوت والحرف إلى الدلالة والأسلوب قد وُظِّفت فكريًّا، فانظُرْ إلى توظيف ابن جني لها واستنطاقه حكمة العرب في لغتهم ومظاهر صنعتهم فيها ووجه الرهافة والدقة والحساسية فيها والتي أثبتها النحويون والدارسون بعدهم مما جعله تأكيدًا بعد تأكيد تظافرت فيه صنعة النحاة واللغويين مع صنعة العرب وبناة اللغة الأوائل، وهذا أمرٌ إذا أنت تنبهت له علمت مرتكزات الفكر التي اعتمدها ابن جني ونحتها من وجدانه وعقله بعد أن جمع ذراتها قبل جزئياتها ثم شكل من كل ذلك بناء استتمت كلياته ناضجة مثمرة في هذا السفر العظيم الذي أسماه الخصائص، وإنك لتعجب من جمعه لها، ثم تعجب من صياغته لها لتكون علمًا يحاجج له، ويستدل عليه، ويدفع عنه.

وأنا هنا أشير إشارات وجيزة بحسب ما تسمح به مساحة البحث الموجز، وإلا فالأمرُ أوسعُ من ذلك بكثيرٍ، وهو متاحٌ لمن أراد الاستقراء والازدياد:

لقد نالت العربية وقفتان عظيمتان ثبتَتْ في نفوس الدارسين مكانتُها، وأرتهم وجهَ الصنعة ودقتَها فيها:

الأولى: عندما أُطِّرَتِ القوانينُ والقواعدُ في جعلها لغةً تعليميّةً علميّةً يتعلّمها غيرُ أهلها، وإحاطتها بسياج من الوقاية والحماية، وهذا صنيعُ البُنَاة الأوائل من البصريين ومَن كمَّل عملَهم من الكوفيين والبغداديين.

والثانية: عندما ظُهِّرت خصائصها ومزاياها عن طريق الفكر الذي يقول عنه ابن جني: "**واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صُنِّف في علم العرب، وأذهبه في طريق القياس والنظر، وأعوده عليه بالحيطة والصون، وآخذه له من حصة**

التوقير والأون، وأجمعه للأدلة على ما أُودِعته هذه اللُّغة الشريفة من خصائص الحكمة، ونِيطت به من علائق الإتقان والصنعة"[١]، وهو صنيعُ ابن السراج وأبي علي ابن جني وابن فارس والزمخشري ومَن في تلك الطبقة.

إنَّ معايير العربية قسمان:

قسم مطرد سبق القرن الرابع، وهي قواعد النحو والصرف الذي سجّلها سيبويه وطبقته من علماء البلدين.

ومعايير أخرى هي ظواهر كبرى في اللغة أسماها ابن جني (الخصائص).

ويالَرشدهم ومنهجيتهم في التراتبية والتتابع، فبعد أن انتهت الأولى ونضجت، بدأوا في حراك تجاه الثانية وهي خصائص الفصحى، وهي بمثابة الختم والرقم لتلك التأطيرات القواعدية، تعللها، وتدلل عليها، وتريك مواطن الحسن والجمال فيها، وتبين لك بيقينٍ وجه الحكمة ودقة الصنعة.

ولئن كان الاطراد هو سرّ الأطر الأولى، فإنَّ التأني والمداورة والتأتي واعتقاد الجميل في اللغة واتهام النفس والمعاودة تلو المعاودة هي السبيل إلى الثانية كما يقرّره ابن جني في سمته الشخصي وسمات الفكر اللغوي وهو محطُّ الحديث في المبحث القادم، وهذا السمت الشخصي الذي ارتكز عليه ابن جني هو الذي أعانه على توظيف تلك المرتكزات التي سلفت في هذا المبحث.

(١) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ١/١.

الخصائص

يركز هذا المبحث على البعد الشخصي والسمت المنهجي الذاتي الذي مكَّن ابن جني في توظيف المرتكزات السابقة لتجلية الفكر وإبراز خصائص العربية في كتابه الخصائص بجهدٍ مبتكرٍ لم يسبق إليه ابن جني.

وهو سمتٌ منهجيٌّ ومنحى عقليٌّ وذاتيٌّ أصيلٌ في ابن جني استطاع استثماره، وكان مدركًا ما حباه الله -عَزَّ وَجَلَّ- من ذلك، ويعلم أنه اختص بشيءٍ لم يُتَحْ لكثيرين، ومقدّمته التي سبقت واضحةٌ جليةٌ في هذا الباب، وابن جني حريصٌ على نشر هذا السَّمت وغرسه بما أوتي من قوة في كل من رام الاتصال بالفكر اللغوي.

ففي هذا البحث نجد حرصًا وحدبًا من ابن جني على غرس الجانب الفكري في نسيج العقل والتصور، باستجلاب الصفات المحفزة لنمو الفكر اللغوي وتنميته، وباستبعاد الصفات الطاردة لنمو الفكر وتسكينه في العقل، فالأمر له شقان: شقٌّ حميد ينمّي الفكر يُستكَثر منه، وشقٌّ آخر سقيمٌ طاردٌ للفكر ينبغي البُرء منه، والمبحث هنا يركز على تجلية الشقين: تحفيزًا وتحذيرًا.

ومن مرس على قراءة ابن جني في الخصائص رأى ذلك عيانًا ويقينًا[1]، كما أنه يحرص على تقديم نموذج تطبيقي يقوم به في الخصائص يطبقه باستنطاق خصائص اللغة وخصائص أهلها الناطقين بها بكل أمانة وجدية متناهية لا يدخر جهدًا عقليًّا ولا فكريًّا ولا وجدانيًّا أو عاطفيًّا تجاهها.

وهذه أيضًا من ركائزه الذاتية في الفكر اللغوي في منهجه في الخصائص

---

(١) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ٢٦/١، ٩١، ٦٠-٩٢، ٣٨٤، ٤٠/٣، ٩٩.

يمكن أن يضم إلى ما سبق من مرتكزات وظفها: من العربية، ومن العرب، ومن النحويين واللغويين، ومن معاييرهم الصناعية، لتتظافر تلك المرتكزات وهذه الوسائط والوسائل على تحقيق الفكر اللغوي وبلوغ تحصيله بالصورة التي أرادها ابن جني، وجَهِدَ في تثبيت ذلك وترسيخه، وهذه بعض مظاهر ذلك.

سمت ابن جني الفكري وصفاته المنهجية(١):

أ- الصفات الداعمة التي تنمي الفكر وتستجليه كما يراه ابن جني.

ب- الصفات المانعة عند ابن جني والتي يحذر منها الدارسين.

إنَّ الحديثَ عن السَّمت الفكري لابن جني وتفتيقه أكمام الفكر اللغوي واستجلاء خصائص العربية سيطول ويتشعب ما لم نضبطه بأرقام وإطار من الإيجاز والأيقونات، وهذا نهج من ذلك، فالمقام مقام إيجاز وإشارات، وليس مقام بسط وعبارات.

آليات ووسائط ابن جني لاستكناه خصائص العربية:

١- البدء منذ البدء لملاحظة الأفكار، والاستمرار إلى النهاية في دأب مستمر، ثم التسجيل والرقم، ثم إبقاء باب الفكر مفتوحًا مواربًا لا يغلق أبدًا، والحرص على الأسئلة المحفزة للذهن وعدم الركون إلى الأجوبة التي تقطع التفكير، ومن تتبع نصوصه علم ذلك يقينًا.

٢- الفك والتركيب وإعادة الفكر والتركيب مرارًا عديدة، وبناء الشيء على

(١) عبدالعزيز الصاعدي، "**منهج ابن جني في "الخصائص"، بين صنعة النحاة وسليقة العرب**"، (رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية، ١٤١٤هـ). ص٣١٢-٣١٤، فاضل السامرائي، "**ابن جني النحوي**"، (دمشق: دار ابن كثير، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م). ص٢١٧-٢٤٩.

مقتضاه، والدأب المتواصل الشغوف، مع تصريف الصياغات والنظر في مختلف زوايا الظواهر اللغوية لالتقاط الجوانب المستجدة والمتجددة فيها وتوظيفها والتدليل عليها وتعليلها.

٣- الاستثمار، وإعادة الاستثمار، وجعل الخصائص اللغوية وظواهر اللغة وسائلَ تُوصِلُه بالاستنباط إلى غيرها في منظومةٍ متصلةٍ فكريًّا.

٤- التموضع الدائم والدائب والذكي لرصد أي لمحة أو ومضة من ومضات الذهن الحاضر الحاد في خصائص اللغة على مختلف مستوياتها، وتركيب ذلك في تراكيب ارتجالية وتأملية لينقدح زناد الفكر، مع إحكام في الصياغة والتعبير ودقة في التوصيف وحصافة في إطلاق الأحكام بعقلانية ورشد، ثم الكرة عليها المرة تلو المرة لتثبيتها والتأكد منها واختبارها ومحاولة التدليل والتعليل لها ومحاولة تشسيعها في أديم اللغة.

٥- المعاودة والترك والمطاولة وإعادة النظر وعدم الكلل ولا اليأس إيمانًا باللغة وبخصائصها ومزايا أهلها، وحكمة واضعها، ورد الاتهام إلى النفس والتقصير إلى نقص الحس وقصور الدرس وعدم إصابة النهج عند الاعتياص وترويض النفس على الحس المرهف الصائب لمسايرة لعبقرية العربية.

٦- إبراز نتائج نوعية بدت جديدة في الصياغة والخصائص، ولكن لا بد أن توصل تلك الآليات إلى تلك النتائج، وهي نتائج صحيحة مبنية على بناء لغوي وموصوفة بحصافة ودقة متناهية بدون إنكار ولا تزيُّد، فلا ينفيها عن اللغة ولا يزعم اطرادها فيها، وإنما يدعوك إلى المتابعة في مد مساحتها في أديم اللغة، وذلك توازنٌ فكريٌّ مذهلٌ.

٧- ابن جني كلي، وهو رجل الجزئيات متناهية الصغر، وهو جزئي متناهي الذرّيات، ولكنه محكم الكليات الكبرى، ويمكن الوقوف بسهولة وغزارة

على تلك الأنماط الفكرية في دراساته اللغوية في الخصائص، وهو يدير ذلك بمنهجية عالية لإظهار خصائص العربية.

ومن لوازم شخصية ابن جني الفكرية اللغوية:

١- شدة الإعظام للسلف، والتمسك بالمنهج، مع شدة مساحة الابتكار المنبني على أصول، ولذا فهو لم يفقد السلسلة الذهبية التي ربطته بالعرب والعربية وبالخليل وسيبويه وغيرهم من أئمة اللغة، كما أنه لم يكن منقطع الصلة عن عصره وبيئته وعلومهما، بل كان من القادة الذين يسنّون الفكر ويصوغونه في القرن الرابع وفتح باب الاجتهاد واسعًا، يقول: **"باب متى يصحُّ مخالفةُ إجماع البصريين"**(١).

٢- وضع المحاذير والقيود الصارمة في عدم الزيغ، وتسويغ الإزاغة **"غير أنّنا مع هذا الذي قُلنا به لا نبيحُ له الخروجَ على الجماعة التي طال بحثُها..."**(٢).

٣- إذًا هو يتيح الابتكار، ويطلق بابه، ولكنه يقيده بعواصم تحميه من قواصم العجلة والنزق والإنكار والتزيُّد، فانظر إلى التوازن والمنهجية والفكر في سمت ابن جني ومثاليته الفائقة في كل هذا.

ويمكن دراسة شخصية ابن جني وسماته الذاتية كمتطلب لدراسة الفكر، وأخذها نموذجًا يحتذى به.

٤- كان التوصيف ثم التوصيف زاده وعتاده، مع شدة الإيغال في النظر

(١) ابن جني، **"الخصائص"**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ١٨٩/١.

(٢) نفسه: ١٩٠/١.

وتصويبه حتى تبرز النتائج تلقائيًّا واضحة للعيان، ثم ينظر فيها، وفي تقديمها كخصائص للغة بقدر ما تظهر عليه تمامًا بدون قطعية الأحكام والحدِّيَّة فيها، والخفّة إلى ذلك.

٥- تطلب الفكر لمستويات من التفكير وطبقات من النظر على مدى الزمن، وتشقيق النتائج إلى نتائج أخرى، وهذه تنبني على تلك، وذلك إيمانًا منه بعدم تناهي خصائص هذه اللغة الشريفة.

ولذا فالفكر عنده منظومة متصلة ممتدة متساوقة ومتناسقة لا يجد عنتًا في سبكها ولا صياغتها، بل متاعبه تأتي من عدم سير الباحثين في مسايرته بالجودة والفعالية التي يتطلبها منهم، ولو رُزِق اتباعًا سايروه وشققوا علمه في الخصائص لوجدتَّ عجبًا عجابًا من تفتيق أكمام ذلك الفكر.

ومرة أخرى: تستطيع أن تجد في شخصية ابن جني أسسَ بناء الشّخصية العلمية المفكرة سلوكيًّا ومعرفيًّا ومنهجيًّا.

وانظر عبارته: "**فإنَّه إذا فعلَ ذلك، سُدِّدَ رأيُه، وشُيِّعَ خاطرُه، وكان بالصَّواب مئنةً، ومن التَّوفيق مظنَّةً**"(١).

ومن وصاياه:

- "فما ورد على وجه القياس، وتقتادُ إليه دواعيَ النَّظر والإنصاف، حُملَ عليها، ونُسِبَتِ الصَّنعةُ فيه إليها، وما تجاوزَ ذلك فخَفِيَ لم تُوءس النَّفسُ منه، ووُكِلَ إلى مصادقة النَّظر فيه، وكان الأحرى به أن يتّهمَ الإنسانُ نظرَه، ولا يخفَّ إلى ادعاء النَّقض فيما قد ثبَّت اللهُ أطنابَه،

(١) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ١/١٩٠.

وأحصفَ بالحكمة أسبابَه"[١].

– "الآن قد أنَّسْتُك بمذهب القوم فيما هذه حالُه، ووقفْتُكَ على طريقه، وأبديْتُ لك عن مكنونه، وبقي عليك أنت التَّنَبُّهُ لأمثاله، وإنعامُ الفحص عمَّا هذه حالُه، فإنّي إن زدتُّ على هذا مللْتُ وأمللْتُ، ولو شئْتُ لكتبْتُ من مثله أوراقًا مئين، فأَبَهْ له ولاطفْه، ولا تجفُ عليه فيعرضَ عنك ولا يبهأَ بك"[٢]، فهو دائمًا يدعو إلى تصويب النظر وتصعيده وتكريره حتى يفتح لك في الأمر.

ومن نصائحه:

- الترغيب في الفكر اللغوي، وإنعام النظر، وحفز الآخرين عليه، وتحبيبه لهم، وإيراءهم منفعته وجميل أثره في التحبب للغة، وتحبيبها.
- إعطاء المريدين الناشئة المنهجية التي يجب أن يسيروا عليها ليحصدوا منافع الفكر اللغوي، وتحذيرهم من التسرع والنزق والإنكار والخفة إليه.
- الشَّغف الزائد، وبث روح الإيجابية، وانتظار النتائج المبهرة ولو بعد حين مما يديم السير على الطريق.
- تسجيل النتائج وإعلانها وإذاعتها حتى لو كانت ساذجة أو سطحية أو عامة؛ تحفيزًا للظفر بما هو أعلى وأسنى منها.
- بناء النتائج على نتائج، والاستفادة من الركام المعرفي (التركيب المنهجي المواشج)؛ لتحصيل خصائص العربية.

---

(١) نفسه: ٢/١٦٤-١٦٥.

(٢) ابن جني، **"الخصائص"**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م): ٢/١٦٨.

- الموضوعية والحصافة في تسجيل النتائج وعدم المبالغة والتزيد أو تجميل النتائج بغير ما أدت إليها الدراسة المنهجية.

ويمكنك أن تُفرّع هذا وغيره لبناء سمت الفكر اللغوي ومتطلباته، وتصور شخصية ابن جني نموذجًا حيًّا تطبيقيًّا ميدانيًّا على ذلك(١).

أ- الصِّفات الشخصية الدَّاعمة للفكر كما يراها ابن جني:

وأوكد هنا استئناسًا من عبارات ابن جني أنه يمكن استخراجُ الكثير من الصفات الداعمة؛ لأنَّ ابن جني كثيرًا ما قدَّم التحفيز للتحلي بالصفات التي تؤسس للفكر وترسخ له وتنميه وتمتنه في صبر أبوي وروح المفكِّر العالم الذي يعلمُ صعوبةَ الطريق إلى ذلك، **فمن آليات الفكر اللغوي:**

- السبر والتأمل والإنعام والتصفح والتدبر.
- مسالك خاصة ومرونة منهجية واستعداد خاصّ للسير بالفكر اللغوي وسبر أغواره في طريق لاحب مستمر في تأمل خصائص هذه اللغة، وانظر إليه يقول:
- **"وما تجاوز ذلك فَخَفِيَ لم توءسِ النَّفسُ منه"**(٢).
- **"وقد يمكنُ أن تكونَ أسبابُ التَّسمية تخفى علينا؛ لبعدها في الزَّمان عنا؛ ألا ترى إلى قول سيبويه: "أو لعلَّ الأوَّلَ وصل إليه علمٌ لم يصلْ إلى الآخر"**(٣).

(١) ينظر: مقدمة محقق "الخصائص"، الدكتور محمد علي النجار: ١/٥-٦٨

(٢) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ١٦٥/٢.

(٣) نفسه: ٦٦/١.

- **"لأن الله سبحانه إنما هداهم لذلك ووقفهم عليه لأن في طباعهم قبولًا له وانطواء على صحة الوضع فيه لأنهم مع ما قدمناه من ذكر كونهم عليه في أول الكتاب من لطف الحس وصفائه ونصاعة جوهر الفكر ونقائه لم يؤتوا هذه اللغة الشريفة المنقادة الكريمة إلا ونفوسهم قابلة لها محسة لقوة الصنعة فيها معترفة بقدر النعمة عليهم بما وهب لهم منها"**(١).

- وطرح ابن جني طريقين للنظر: التسرع والإنكار، وخبط الأمر وإنكاره فتتوعر مسالكه، أو الترفق به والأنس إليه برفق وتأمل، وهذا باب تحصيل الفكر، يقول: "**ولكن إن طَنِبْتَ له ورَفِقْتَ به: أولاك جانبَه، وأمطاك كاهلَه وغاربَه، وإن خبطْتَه وتورَّطْتَه: كدَّكَ مَهَلُه، وأوعرَتْ بك سُبُلُه؛ فرفقًا، وتأملًا**"(٢).

إذًا هناك طريقان للتعاطي مع اللغة والفكر فيها:

الأول: طريق الخصائص والكشف عنها كما فعل ابن جني، والثاني: طريق الحفظ السَّاذج وخبط اللغة وإنكار ما لم تستوعبه بداية، وفي هذين الطريق يقول ابن جني: "**فالتأنّي** (وفي نسخةٍ من الخصائص: **فالتَّأنّي**) **والتلطّفُ في جميع هذه الأشياء، وضمّها، وملاءمة ذات بينها هو خاصُّ اللُّغة، وسرّها، وطلاوتُها الرَّائقة، وجوهرُها، فأمَّا حفظُها ساذجةً ، وقمشُها محطوبةً هرجةً: فنعوذ بالله منه، ونرغب بما آتاناه سبحانه عنه**"(٣).

---

(١) نفسه: ٢٣٩/١.

(٢) نفسه: ١٠٨/١.

(٣) نفسه: ١٢٥/٢، والإشارة للنسخ مقتبسة من هوامش تحقيق النجار، حاشية رقم =

– ومن هنا تدرك ضرورةَ المرونة المنهجية، فاللغة لا تطاوعك، ولا تنقاد لك أحيانًا، وتأمل؛ فهذا إلحاحٌ غريبٌ جدًّا على إنعام النظر حتى فيما بدَا فيه وجهُ الحكمة غائبًا، وذاك لاعتقاده أنَّ اللُّغةَ مبنيةٌ بإحكامٍ وعبقريةٍ، وأنَّ عدمَ الوصول مردُّه قصرُ النظر وضعفُه والعجلة، وليس مرده عدم حكمة اللغة وعبقريتها، فاللغة حكيمةٌ ومبنيةٌ بإحكام، فابن جني على يقينٍ من وجه الصنعة فيها عند واضعها وعند دارسيها ومن بنوا معاييرها، فالتَّأمل الذي يدعوك إليه ابن جني أن ترى وجهًا من التَّعليل تثبت به حكمةُ اللغة وحكمةُ واضعها.

وهذه حصافةٌ فكريةٌ، وعقالٌ منهجيٌّ شامخٌ لطالما عُرِف بها ابنُ جني، فمع إطلاقه الفكر من عقله إلا أنه يقيّده بحصافةٍ ووعيٍ وسبرٍ وتقسيمٍ لا مزيدَ عليه في ضبطه، ومن عبارته: "**وتكثر إعظام هذه اللغة الكريمة من أجله**"(١)، فهذا من أغراض الفكر عنده، ومن أهدافه إبراز خصائص العربية، وإعظامك للعربية واعتقادك فيها الحكمة والعصمة.

وانظر قوله: "**وقد رسْمْتُ لك منه رسمًا، فاحتذِه وتقيَّلْه**"(٢)، فهو يقدّمُ نماذج للاحتذاء، يريد أن يرسم نموذجًا لكلّ خصيصةٍ من خصائص العربية، ثم يدعوك إلى مواصلة السير فيها، بينما هو ينطلقُ إلى خصيصةٍ غيرها، فمهمته ليس تطبيق الأفكار تطبيقًا كاملاً فهو يحث المتلقي عليه، ولكن مهمته تسجيل كلّ ما عنَّ له من فكرٍ ورويةٍ في خصائص العربية وتقديمِ نماذجٍ لها.

=

(٤)، ونصها: (كذا =في أ. وفي ش، ب: "فالتَّأني".

(١) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م)، ١٣٩/٢.

(٢) نفسه: ١٣٩/٢.

وانظر قوله: "**وتسترفدُه في بعض الحاجة إليك، فيعينُك ويأخذُ بيدك**"(١)، فهو هنا يحثك على الاستعانة بمناهج الفكر ومسالكه، ليكون بعضُها عونًا على البعض الآخر.

فالفكرُ عند ابن جني سؤالاتٌ لا تتناهى تحصل عنها إجابات وافية، أو شبه وافية، أو حتى ناقصة، وتبقى الأسئلة مفتوحة ليبقى الذهن مشرعًا مشرئبًا حاضرًا يلتمع ألمعيته ويتوقد فكرًا،

والفكر عنده مستوياتٌ تقودُ بعضُها بعضًا، فهي تكتيكٌ واستراتيجيةٌ، وعند انثيال الحديث تخرج الكنوزُ والدَّقائقُ، والفكر بطئٌ في تحصيله، ولكنه يقين عند الوصول إليه، وتأمَّل فقهَ الأبنية والمفردات في الأبواب التي يعقدها عليها، ودعوته للبحث من الباحثين، ودعوته للمتلقين أن يرهفوا حواسّهم وأحاسيسَهم لتطيع طباعهم لخصائص العربية، وهذا مطلبٌ نادرٌ، والباحث عنه وفيه قليلٌ، والمتلقي المعتني باللغة قليلٌ، والناسُ أعداءُ ما جهلوا.

وعلى الجملة: فإنك مهما طالعت من أبواب الخصائص لن تَعدَمَ هذا الحفز وهذا التوجيه من ابن جني بامتلاك ملكة الفكر وتنميته وبيان أهميته في الذائقة اللغوية ومعرفة جمالها وأوجه الفتنة بها في تعليل وتدليل والتقاط لزوايا ومذاهب غاية في الدقة الفكرية والنجاعة المنهجية.

ومن السِّمات الشَّخصية لابن جني: الذَّكاء المعرفي والحصافة والكياسة وحسن المراس ومراعاة زمان المرحلة، مما مكَّنه ألا يندمجَ في عصره القرن الرابع اندماجًا كاملاً فينقطع للفكر وحدَه؛ لأنَّ المعرفةَ لا تكون فكرًا مجرّدًا، ولهذا زاوجَ ابنُ جني الفكرَ بالمعرفة التَّخصصية؛ لإدراكه أنه لن يُقبَلَ منه أن يكون

(١) نفسه: ١٣٩/٢.

كلُّ إنتاجه فكريًّا مبتكرًا، وأنَّه لا مناصَ أن يقومَ هذا الإنتاجُ الفكريُّ على أُسسٍ سابقةٍ له؛ حتى يُقطَف الفكرُ أو يُظهَره أو يُبرَزه، وكلما اتَّكأ المفكّرُ على معرفةٍ سابقةٍ وتأصيلٍ سابقٍ كلما كان ذلك مؤدِّيًا لأن يكونَ ذلك الفكرُ يانعًا وزاهرًا وراسخًا ووفيًّا، وأهمُّ من ذلك مُعترَفًا مُقَرًّا به من جيله وعصره وثقافة بيئته غيرَ محارَبٍ ولا منبوذٍ.

ومن أبرز صفات المفكِّر ألا يكون صِداميًّا، بل ذكيًّا توافقيًّا، يعرف كيف يسوقُ فكرَه في طريقة عرضه بصورةٍ جاذبةٍ تدعو أهل التخصصات على اختلافهم لأن يُفكّروا معه، ولهذا قال عن كتابه: "**وهو كتابٌ يتساهمُ ذوو النَّظر: من المتكلّمين والفقهاء والمتفلسفين والنُّحاة والكُتَّاب والمتأدّبين، التَّأمُّلَ له والبحثَ عن مستودعه؛ فقد وجب أن يخاطبَ كلَّ إنسانٍ منهم بما يعتادُه ويأنسُ به؛ ليكون له سهمٌ منه وحصةٌ فيه**"[(١)]، فهنا تلحظ في عباراته الدعوة إلى التأمُّل والنظر والمشاركة، ويقدِّم إنتاجَه فكرًا يقبل النظر والتفكير، ومزاوجًا بين التنظير والتطبيق، والأهمُّ هو دعوته النخب اللغوية والعلمية للتفكير معه فيما يسوقه لهم.

ب- الصِّفات المانعة للفكر وتحصيله كما يراها ابن جني:

يقال: وبضدّها تتميز الأشياء، فإن ابن جني خصَّ موانع الفكر اللغوي بحديث مركز في عباراته يصدر بها أبوابه ويختمها بها، ويبثها في ثناياها ليحذر من تلك الصفات النزقة والعجلة المميتة للفكر وسد باب التدبر والتأمل والخفة إلى الإنكار وخبط الأشياء بدون تلطف في أسبابها ومضامينها، وذاك قصور

(١) ابن جني، "**الخصائص**"، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ٦٨/١.

في النظر وتقصير في الجهد.

فمن موانع الفكر:

– ضعف النظر، وعدم التمكن والقدرة، وينتج عن ذلك النفي والإنكار لخصائص العربية ومميزاتها؛ عجزًا عن التقاطها.

– عدم إنعام النظر، وجفاء طبع الناظر وخفاء غرض الناطق باللغة وطاقات اللغة التعبيرية.

– ضعف النظر، وخفة الفهم عن تلقي اللغة، وسذاجة التفكير، والأخذ بالظاهر، والوقوف عنده، وعدم سبر الحقائق، وعدم ارتياض النفس بالدُّربة والمراس على الفكر وإعماله في بنية العربية وبنائها.

وعكسها عنده: الرَّويّة والحكمة، **"وهو أشبهُ بحكمة العرب"**(١)، فحكمة العرب هي العلة التي يجب أن يدور الفكر اللغوي في مدارها، وأن يبحث عن تجليتها؛ نظرًا لاعتقاد ابن جني أنَّ العربية لغةٌ عبقريةٌ، وأنَّها صورةٌ عن عبقرية أهلها.

يقول ابن جني: **"فأمَّا هجنة الطبع، وكدورة الفكر، وخمود النفس، وخيس الخاطر، وضيق المضطرب"**(٢)، فهذه من السمات المانعة من الفكر اللغوي.

وانظُرْ إليه معاتبًا لمن ضاق عطنه عن التنبه لما يريد تنبيهه إليه: **"إمَّا**

(١) ابن جني، **"الخصائص"**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م)، ٣٧٥/١.

(٢) نفسه: ٤٣/٢.

أن تكونَ لم تنعمِ النَّظرَ فيه، فيقعد بك فكرُك عنه"[1]، فقصور النظر مانعٌ من الفكر.

ويقول رادًّا على من زعم أن ما يذكره ابن جني من خصائص اللغة قد يكون شيئًا اتفق من دون أن يعتقده العرب في لغتهم: **"قيل: في هذا حكم بإبطال ما دلت الدلالة عليه من حكمة العرب التي تشهد بها العقول، وتتناصر إليها أغراض ذوي التحصيل، فما ورد على وجه يقبله القياس, وتقتاد إليه دواعي النظر والإنصاف، حُمِلَ عليها، ونُسِبَتِ الصنعةُ فيه إليها"**[2]، وهذا هو محلُّ إعمال الفكر، أي في موطن الحكمة هذه، ثم يؤصّل منهجيًّا لما ينبغي فعله تجاه الفكر اللغوي وخصائص العربية: **"وكان الأحرى به أن يتهمَّ الإنسانُ نظرَه، ولا يخفَّ إلى ادعاء النَّقص فيما قد ثبَّتَ اللهُ أطنابَه, وأحصفَ بالحكمة أسبابَه"**[3]، نَعَم، تُتَّهَمُ العقولُ بالتقصير ولا تُعطَّلُ اللغةُ مما استقرّتْ عليه الحكمةُ فيها، ونصوصُه في هذا جليّةٌ وغزيرةٌ، وإنما تُذكَرُ هنا إشاراتٌ وملامحُ منها، ولذا يقول لك: **"الآن قد أنَّسْتُك بمذهب القوم فيما هذه حالُه, ووقفتْكُ على طريقه, وأبديْتُ لك عن مكنونه, وبقي عليك أنت التَّنَبُّهُ لأمثاله, وإنعامُ الفحص عمَّا هذه حالُه"**[4]، وتأمَّلْ هذه المرونة المنهجية المكثفة الدؤوبة بالمتلقي، وشدة عنايته به.

ويقول أيضًا: **"فإنني إن زدتُّ على هذا مللت وأمللت، ولو شئْتُ**

(١) نفسه: ١٦٤/٢.

(٢) ابن جني، **"الخصائص"**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م): ١٦٤/٢-١٦٥.

(٣) نفسه: ١٦٥/٢.

(٤) نفسه: ١٦٨/٢.

لكتبْتُ من مثله أوراقًا مئين، فأَبَهْ له ولاطِفْه، ولا تجفُّ عليه فيعرضَ عنك ولا يبهأَ بك"[(١)]، فالوسيلةُ أن تقبل وترغب حتى يقبل عليك الفكرُ، فالأشياء تقعُ لمن يقصدُها، وتجافي من جافاها وأعرض عنها.

ومن تابع مصادر الفكر قديمة وحديثة وجدها رغم عدم تعمقها في دراسة ابن جني يساير إشاراته، وتساير أيقوناته؛ مما يدلُّ على صحة منهجه وتأسسيه وعمق تأصيله، وصحة تفريعه.

(١) نفسه: ٢/١٦٨.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

سنقتصر هنا على بعض الأفكار والنتائج التي وردت في البحث طلبًا للإيجاز:

كأن ابن جني كان على موعد في القرن الرابع وفي مدينة بغداد حيث اجتمع الزمن والمكان فتوفرت البيئة اللغوية اللازمة للإبداع الفكري الذي يلائم عقلية ابن جني العصية على التقليد، ووافق ذلك الانتهاء من المعايير اللغوية قبل زمان ابن جني، فلم تجد عقلية فذة كعقلية ابن جني سوى الفكر والتعليل واستنطاق خصائص اللغة، وهكذا فعل في مصنفاته وخاصة الخصائص مما جلى معرفة جديدة وإعادة فك وتركيب للبناء اللغوي بمنهج مستجد أمَّن فيه على نتائج السَّلف قبله وثَابَتَهُ حتى غدا علمًا فكريًّا منهجيًّا استجلى به ابن جني خصائص العربية.

وكانت ركائزه في ذلك: شغف وحرص، وتسجيل وتفكير دائب وحب منقطع النظير للعرب ولغتهم العبقرية، فارتكز عليهما، أي العرب والعربية، مستعينًا بالنحويين ومناهجهم وثمار عقولهم ومعاييرهم التي استنبطوها من بنية اللغة، وهكذا تمت المنهجية الفكرية للخصائص بوصفه كتابًا فكريًّا ومنهجيًّا فريدًا أسس لنمط خاص من المعرفة اللغوية.

ومن نتائج البحث:

- ظهور أبرز الركائز التي أقام عليها ابن جني البناء الفكري في كتابه الخصائص.
- إثبات دور الصفات والسمات الشخصية للمفكر اللغوي (ابن جني

أنموذجًا).

- لم يكتف بالسمات والصفات الموصلة للجانب الفكري بل ذكر السالب المانع أيضًا، وهذا استيعاب فكري منهجي مرده الشغف والحرص.
- تحليل الظروف والمعطيات التي هيَّأت لابن جني البيئة الفكرية الملائمة.
- النص على الطبيعة الفكرية لكتاب الخصائص بين بقية كتب ابن جني كما أظهرها ابن جني في مقدمته وبقية تضاعيف كتابه وأبوابه وعناوينه.
- الخصائص كتابٌ فكريٌّ بامتياز، منهجي في منطلقه، وتصورات ابن جني فيه مؤكدة ومدللة معللة ومجيبة عن اعتراضاتها.
- شمولية اللغة في دراستها كما هي في ممارستها رشد فكري واضح وجلي في كتاب الخصائص.
- إبراز الجوانب التي قصد ابن جني بإلحاحه على الباحثين في متابعته أن تجلى وتظهر.
- الخصائص عبارة عن كشاف لتسجيل أفكار بحثية لغوية ومنهجية مستوفاة في نماذجها، ويدعو إلى النظر في تطبيقاتها في اللغة وتشسيع مساحتها فيها.
- في فم ابن جني كلام جلي يواربه ويخفيه، ولا يخاف إظهاره، ولكنه يستنطق به خصائص الباحثين.
- التعليل باب كبير دلف به ابن جني إلى ركز الفكر اللغوي ببيان صحة ما استقرت عليه معايير العربية بكافة مجالاتها.
- للصناعة اللغوية فهم دقيق في عقل ابن جني يمكن إذا دُخل عليها من المنهجية التي أرادها لأثمرت نماءً في دراسي اللغة.
- هناك صناعة للعرب في لغتهم، هي مظهر حكمتهم فيها، وهي متلاقية مع الصناعة اللغوية بمفهوم ابن جني الدقيق لها.

- الخط متصل بين العرب والبناة الأوائل من الخليل وسيبويه وابن جني، فالسند لم ينقطع.
- سَلِمَ ابنُ جني بتقبُّله وتسجيله للأوائل كالخليل وسيبويه وقبلهم العرب من لوثة منهجية أصابت كثيرين في عصره وما بعده من العصور.

هذه بعض النتائج، ويمكن للقارئ أن يستنطق البحث عمَّا أهمل هنا منها؛ طلبًا للاختصار.

ومن توصيات البحث:

- كتاب الخصائص يستصحب ويقرأ مرات عديدة لاكتساب مهارة تفكيكه.
- وضع كشّاف بالنصوص الأيقونية الفكرية في كتاب الخصائص يمكن أن يمد الباحثين بزاد من التحليل والعمق في جوانب الفكر في تصور ابن جني.
- بناء تصور لفكر ابن جني عامة في منهجه اللغوي المتنوع في كتبه، وإفراد الخصائص لفرادته في هذا الباب بمزيد عناية في الجانب الفكري والمنهجي.
- إفراد الفكر عند ابن جني في مصنفاته.
- شرح كتاب الخصائص وإعادة بعثه تحقيقًا ودراسة ومدارسة.
- الوسائل والوسائط الفكرية محل بحث ونظر، فيها تعليم ودربة وحفز لغرس الفكر اللغوي عند دارسي العربية.

المصادر والمراجع

ابن جني، أبو الفتح عثمان. "**الخصائص**". القاهرة: دار الكتب المصرية، تح: محمد علي النجار، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد. "**المقدمة**". القاهرة: نهضة مصر، ط٤، تح: الدكتور علي عبدالواحد وافي، أكتوبر ٢٠٠٦م.

ابن السَّراج، أبو بكر محمد بن سهل. "**الأصول في النحو**". بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، تح: الدكتور عبدالحسين الفتلي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد. "**الصاحبي في فقه اللغة**". القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، تح: السيد أحمد صقر.

ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم. "**تأويل مشكل القرآن**". القاهرة: مكتبة دار التراث، تح: السيد أحمد صقر، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

الأنباري، أبو البركات عبدالرحمن. "**الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين**". تح: محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة: المكتبة العصرية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م،

الأنباري، أبو البركات عبدالرحمن. "**لمع الأدلة في أصول النحو**". القاهرة: دار السلام، ط١، تح: أحمد عبدالباسط، ١٤٣٩هـ.

البشير، أحمد فتحي. "**التداخل والتمايز المعرفي بين النحويين والفقهاء والأصوليين**". القاهرة: درة الغواص، ط١، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. "**البيان والتبيين**". القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٥، تح: عبدالسلام هارون، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

الجرجاني، عبدالقاهر. "**دلائل الإعجاز**". القاهرة: مطبعة المدني، ط٣، تح:

محمود محمد شاكر، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

الزجاجي، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق. "**الإيضاح في علل النحو**". بيروت: دار النفائس، ط٥، تح: مازن المبارك، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

السامرائي، فاضل صالح. "**ابن جني النحوي**". دمشق: دار ابن كثير، ط١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. "**كتاب سيبويه**". القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٤، تح: عبدالسلام محمد هارون، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

السيوطي، جلال الدين. "**الاقتراح في أصول النحو وجدله**". تح: محمود فجال، مطبعة الثغر، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

الصاعدي، عبدالعزيز بن سالم. "**منهج ابن جني في الخصائص بين صنعة النحاة وسليقة العرب**". رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية، ١٤١٤هـ.

عبدالغفار، السيد أحمد. "**التصوُّر اللغوي عند علماء أصول الفقه**". الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م.

فروخ، عمر. "**عبقرية اللغة العربية**". بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

فهمي، عصام عيد. "**أصول النحو عند السيوطي بين النظرية والتطبيق**". القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط١، ٢٠٠٦م.

هلال، عبدالغفار حامد محمد. "**عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني**". القاهرة: دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

Bibliography

The Noble Quran.

Ibn Jinni, Abu Al-Fath Othman. “al-Khaṣāʾis” investigated by: Muhammad Ali Al-Najjar, (Cairo: Egyptian Book House,1372AH/1952).

Ibn Khaldoun, ʿAbd al-Rahman bin Muhammad. “al-Muqaddimah” Study, Investigation and Commentary: Dr. Ali Abdel Wahed Wafi, (4th Edition, Cairo: Nahdet Misr, October 2006).

Ibn al-Sarraj, Abu Bakr Muhammad bin Sahl. “al-Ouṣūl fi al-Nahw”. (3rd Edition, Beirut: Al-Resala Est., 1408H/1988).

Ibn Faris, Abu Al-Husain Ahmad. “al-Ṣāhibi fi Fiqh al-Lugha”. (Cairo: Issa Al-Babi Al-Halabi & Co. Press).

Ibn Qutaibah, Abu Muhammad ʿAbdullah bin Muslim. “Taʾwīl Mushkil al-Qurʾān”. Investigated by Mr. Ahmed Saqr. (Cairo: Dar Al-Turath Library, 1427AH/2006).

Al-Anbāri, Abu Al-Barakat Abdul Rahman. "al-Inṣāf fī masā’il al-khilāf bayna al-naḥwīyīn: al-Baṣrīyīn wa-al-Kūfīyīn". (Cairo: Modern Library, 1371H/1952).

Al-Anbari, Abu Al-Barakat Abdul Rahman. "Lumaʿ al-Adillah fī Uṣūl al-Naḥw". Investigation and Study: Ahmad ʿAbd al Basit. (1st Edition, Cairo: Dar Al-Salam, 1439AH).

Al-Bashir, Ahmed Fathi. "al-Tadākhul wa-al-tamāyuz al-maʿrifī bayna al-naḥwīyīn wa-al-fuqahā’ wa-al-uṣūlīyīn". (1st Edition, Cairo: Durrat Al-Ghawas, 1442AH/ May 202).

Al-Jahiz, Abu Othman Amr bin Bahr. "al-Bayān wa-al-tabyīn". investigated by Abdulsalam Haroun, (5th Edition, Cairo: Al-Khanji Library, 1405AH/1985).

Al-Jurjani, Abdul Qaher. "Dalā’il al-iʿjāz". Investigated by: Mahmoud Muhammad Shakir, (3rd Edition, Cairo: Al-Madani Press, 1413AH/1992).

Al-Zajajji, Abū al-Qāsim ʿAbd al-Raḥmān ibn Isḥ. "al-Īḍāḥ fī ʿIlal al-naḥw". Investigated by: Investigated by: Mazin Al-Mubarak, (5th Edition, Beirut: Dar Al-Nafees, 1406AH/1986).

Al-Samurrai, Fadil Saleh. "Ibn Jinni al-Nahwi". (1st Edition, Damascus: Dar Ibn Kathir, 1437H/2016).

Al-Suyouti, Jalal al-Din "al-Iqtirāḥ fī uṣūl al-naḥw wa-jadalih".

(1st Edition, Damascus: Dar Al-Qalam, 1371H/1952).

Al-Sa'idi, Abdulaziz bin Salim. "Manhaj Ibn Jinnī fī al-Khaṣā'iṣ bayna ṣan‘at al-nuḥāh wslyqh al-‘Arab". (Master's thesis at the Islamic University, 1414AH).

Sibawaih, Abu Bishr ʿAmr bin ʿUthman bin Qunbar. “Kitāb Sibawaih”. Investigation by Abdulsalam Muhammad Harun, (Cairo: Al-Khanji Library, 4th Edition, 1425H/2004).

ʿAbd al-Ghaffar, Elsayed Ahmad. "al-Taṣawwur al-lughawī ‘inda ‘ulamā’ uṣūl al-fiqh". (Alexandria: Dār al-Maʿrifah, 1996).

Farrukh, Omar. "‘Abqarīyat al-lughah al-‘Arabīyah". (Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1401H/1981).

Fahmi, Essam Eid. "uṣūl al-naḥw ‘inda al-Suyūṭī bayna al-naẓarīyah wa-al-taṭbīq". (1st Edition, Cairo: Egyptian General Authority for Books, 2006).

Hilal, ʿAbd al-Ghaffar Hamid Muhammad. "ʿAbqarī al-lughawīyīn Abū al-Fatḥ ‘Uthmān ibn Jinnī". (1st Edition, Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi, 1426 AH – 2006).

١٣٨
١٩٦

The Islamic University Journal of Arabic Language and Literature

Issue : 17

July - Sept 2025

part 1